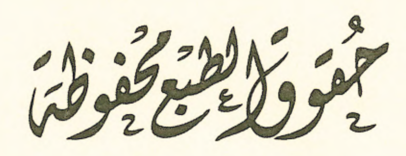


الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٧٠٢٦



مكتبة منهاج النبوة للنشر والتوزيع

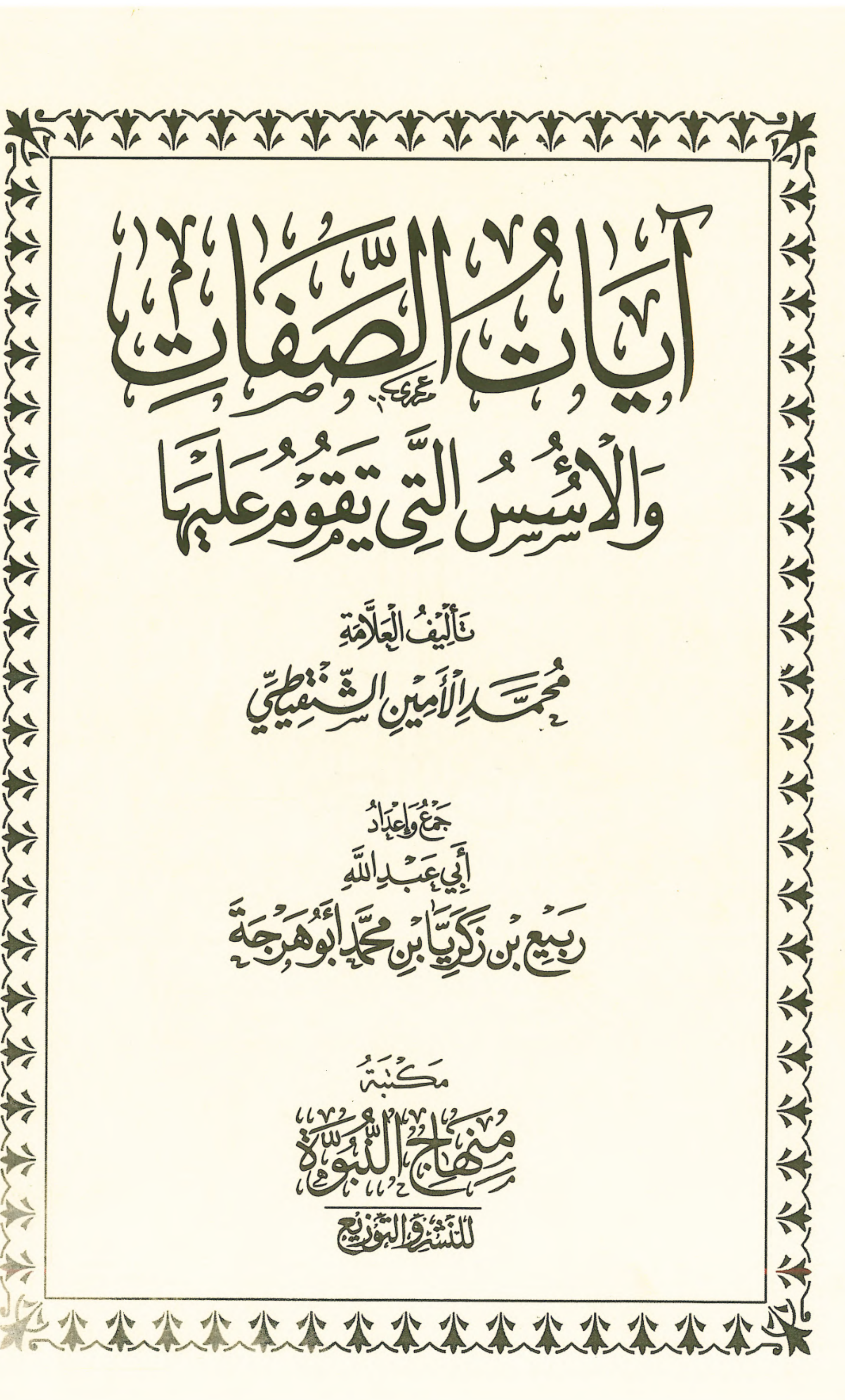
جمهورية مصر العربية / المنوفية

سبك الأحد / المسجد الشرقي

جوال: ٠١٢٨١٥٨٥٠٤٠ - ٠٤٨٣٤٢٢٣٧٢

٠١٠٠٣٥٠٣٥٦٣ - ٠١٢٨٢٤١٨١٨٥


آيات الصفات
والأسس التي تقوم عليها



آيات الصفات

والأسس التي تقوم عليها

تأليف العلامة

محمد الأمين الشنقيطي

جمع وإعداد

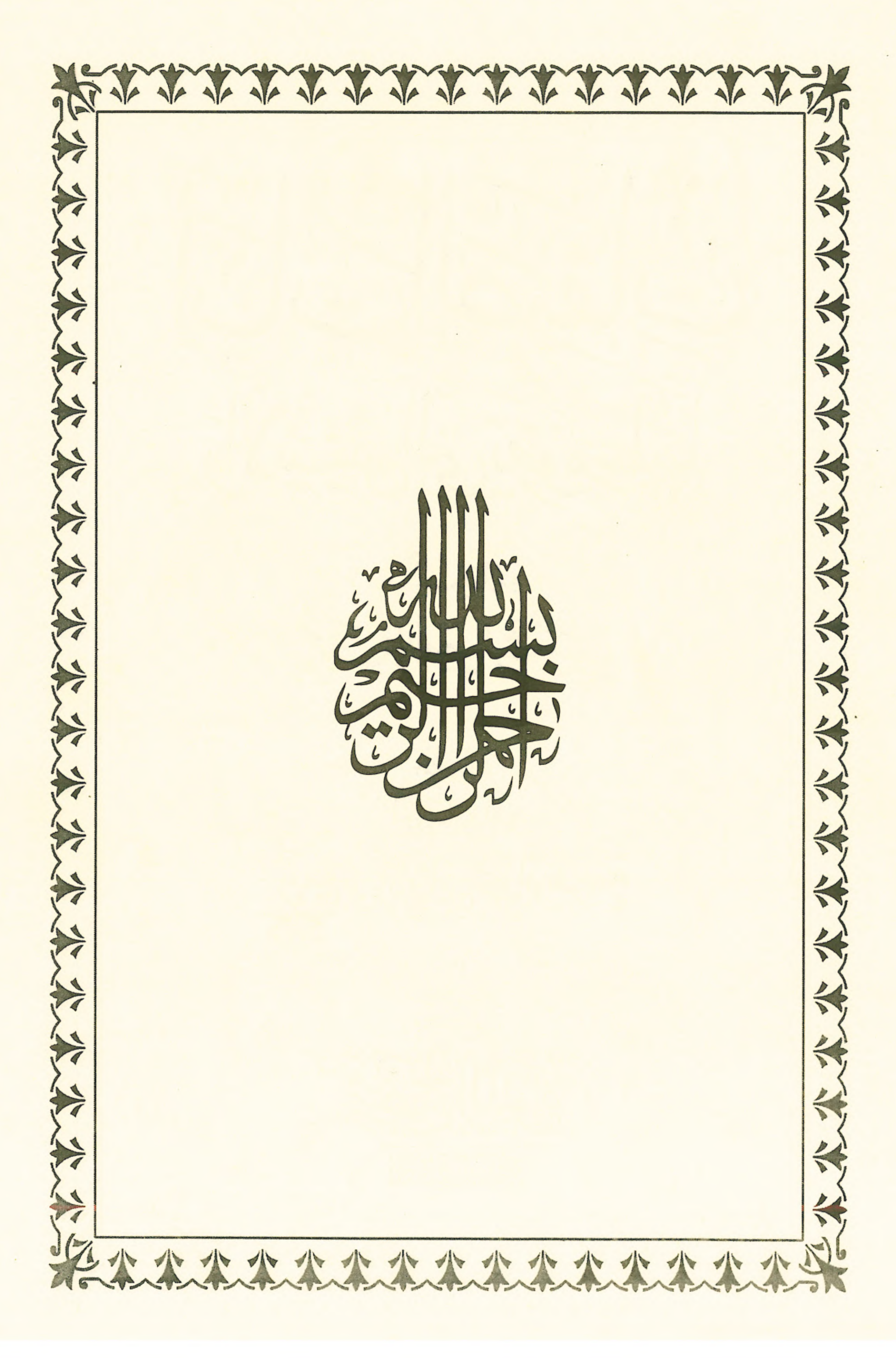
أبي عبد الله

ربيع بن زكريا بن محمد أبو هرجة

مكتبة

منهاج النبوة

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



● أَمَّـا بَـعْـدُ:

فَهَذِهِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَـةُ مِنْ كِتَابِ: "آيَاتِ الصِّفَاتِ وَالْأُسُسِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا"، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّـهَا مُحَاضَرَةٌ أَلْقَاهَا الْعَلَّامَةُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِقِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَـةِ أَلَا وَهُـوَ: "تَـوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ".

وَهَذَا الْقِسْمُ قَدْ كَثُرَ فِيهِ الْخِلَافُ جِدًّا:

- حَتَّى رَأَيْنَا مَنْ يَنْفِي عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِـهِ.
- أَوْ يَنْفِي بَعْضًا وَيُثْبِتُ بَعْضًا.
- وَرَأَيْنَا مَنْ يُثْبِتُهَا لَكِنْ يُحَرِّفُ مَعَانِيَهَا.
- وَمَنْ يُثْبِتُهَا وَيُفَوِّضُ مَعَانِيَهَا أَيْ: يُثْبِتُ أَلْفَاظَهَا وَيَجْهَلُ مَعَانِيَهَا، أَيْ يَقُولُ مَثَلًا: نُثْبِتُ الْيَدَ لِلَّهِ لَكِنْ لَا نَعْلَمُ مَا مَعْنَى الْيَدِ؟، وَنُثْبِتُ الِاسْتِوَاءَ وَلَكِنْ لَا نَدْرِي مَا الْمُرَادُ بِالِاسْتِوَاءِ؟، وَهَكَذَا فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ.

فَعَادَ قَوْلُهُ هَذَا طَعْنًا فِي الرَّسُولِ ﷺ؛ إِذْ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ مَعَانِيَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهُوَ إِمَامُ الْبُلَغَاءِ وَسَيِّدُ النُّصَحَاءِ، الْمُبَلِّغُ عَنِ اللهِ ﷻ دِينَهُ، وَمَا تَوَفَّاهُ اللهُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَا أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ وَارْتَضَى الْإِسْلَامَ لَهُ دِينًا؛ وَلَازِمُ هَذَا أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ.

وَعَادَ قَوْلُهُ طَعْنًا فِي الصَّحَابَةِ (رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ)؛ إِذْ سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَكَلَامَ الرَّسُولِ ﷺ مِنْهُ وَرَدَّدُوهُ بِأَفْوَاهِهِمْ، دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا مَعَانِيَهُ، وَلَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهَا؛ بَلْ رَدَّدُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ أَلْفَاظًا لَا مَعَانِيَ لَهَا.

❀ وَرَأَيْنَا مَنْ يُثْبِتُ بَعْضًا وَيَنْفِي بَعْضًا، وَهَذَا الَّذِي يُثْبِتُهُ لَا يُثْبِتُهُ إِثْبَاتًا حَقِيقِيًّا، وَإِنَّمَا يُفَسِّرُهُ بِلَازِمِ مَعْنَاهُ؛ فَيُفَسِّرُ صِفَةَ الضَّحِكِ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ، وَيُفَسِّرُ صِفَةَ الْغَضَبِ بِإِرَادَةِ الْعِقَابِ.

❀ وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُ الضَّحِكَ بِالثَّوَابِ لَا بِإِرَادَتِهِ، وَيُفَسِّرُ الْغَضَبَ بِالْعِقَابِ لَا بِإِرَادَتِهِ.

فِي سِلْسِلَةٍ طَوِيلَةٍ ابْتُلِيَتْ بِهَا أُمَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَقْوَامٍ انْتَسَبُوا لِلدِّينِ، وَأُوتُوا ذَكَاءً لَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْتَوْا زَكَاةً؛ تَأَثَّرُوا بِالْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، وَأَعْمَلُوا مِعْوَلَ التَّحْرِيفِ فِي نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ

وَصِفَاتِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يُنَزِّهُونَ اللهَ ﷻ، وَمَا دَرَى الْمَسَاكِينُ أَنَّهُمْ جَهِلُوا حَقَّ اللهِ الْعَظِيمِ، وَوَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مَكَانٍ هُوَ أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ وَالرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِاللهِ مِنَ اللهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِاللهِ بَعْدَ اللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ؛ أَلَمْ يَقْرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

● ● ●

فَمَا الَّذِي جَنَتْهُ الْأُمَّةُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالْآرَاءِ الْكَاسِدَةِ إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالتَّشَتُّتَ وَالضَّعْفَ وَالذِّلَّةَ! وَتَكَالَبَتْ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا؛ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتَأْصِلُوا شَأْفَتَهَا، وَيُمَزِّقُوا وَحْدَتَهَا؛ فَسَلَبُوهَا سَبَبَ عِزِّهَا وَقُوَّتِهَا، وَفَتَحُوا عَلَيْهَا بَابَ الْفِتَنِ؛ فَأَسْرَعَ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ الْمَفْتُونُونَ، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَذَّرَ مِنَ الْفِتَنِ، وَاسْتَعَاذَ مِنْهَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْتَعِيذَ مِنْهَا، وَأَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَعَاذٍ وَمَلْجَأٍ؛ لِنَعْتَصِمَ بِهِ مِنْهَا.

وَالِاعْتِصَامُ فِي الْفِتَنِ يَكُونُ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ﷺ، فَإِذَا اسْتَمْسَكَ الْمُسْلِمُ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ؛ نَجَا مِنَ الْفِتَنِ، وَسَلِمَ مِنْهَا، وَعَافَاهُ اللهُ ﷻ مِنَ الدُّخُولِ فِيهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ وَقَعَ فِي الْفِتَنِ كَانُوا قَلِيلِي الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمِ السَّلَفِ، إِنْ لَمْ يَكُونُوا جَهَلَةً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمِ السَّلَفِ مَعَ وُجُودِ عَاطِفَةٍ، فَإِذَا اجْتَمَعَ جَهْلٌ وَعَاطِفَةٌ؛ دَمَّرَتْ وَأَهْلَكَتْ وَأَضَرَّتْ، وَلَمْ يَجْنِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالْعَدَاوَةَ وَالضَّعْفَ وَالذِّلَّةَ وَتَسَلُّطَ الْأَعْدَاءِ، وَهُوَ الْحَاصِلُ وَالْوَاقِعُ.

● ● ●

وَكَمَا اخْتَلَفُوا فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، كَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

- **فَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"؛ فَقَالُوا: مَعْنَاهَا: "لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ"، أَوْ: "لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ إِلَّا اللهُ"؛ وَهَذَا مَعْنَاهُ: أَنَّ كُلَّ الْمَعْبُودَاتِ هِيَ اللهُ.**

وَالْوُجُودُ عِنْدَهُمْ لَا يَنْقَسِمُ إِلَى خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَتَّحِدُ وَلَا يَنْقَسِمُ؛ فَالْوُجُودُ كُلُّهُ هُوَ اللهُ، وَهَذَا مَعْنَى أَنَّهُمْ أَهْلُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ؛ حَيْثُ جَعَلُوا الْوُجُودَ شَيْئًا وَاحِدًا يَتَّحِدُ وَلَا يَنْقَسِمُ، هُوَ كُلُّهُ اللهُ؛ فَمَهْمَا عَبَدَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ عَبَدَ اللهَ؛ فَالَّذِي يَعْبُدُ الْبَقَرَةَ،

أَوْ الَّذِي يَعْبُدُ الصَّنَمَ، أَوْ الَّذِي يَعْبُدُ الْحَجَرَ، أَوْ الَّذِي يَعْبُدُ الْبَشَرَ، أَوْ الَّذِي يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، الْكُلُّ يَعْبُدُ اللهَ؛ لِأَنَ الْوُجُودَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ.

وَمَنْ قَالَ: الْوُجُودُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: خَالِقًا، وَمَخْلُوقًا؛ يَقُولُونَ عَنْهُ: إِنَّهُ مُشْرِكٌ؛ فَلَا يَكُونُ مُوَحِّدًا إِلَّا مَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ: بِأَنَّ الْوُجُودَ شَيْءٌ وَاحِدٌ هُوَ اللهُ.

❀ ❀ ❀

◐ وَمِنْهُم مَنْ فَسَّرَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ بِأَنَّ مَعْنَاهَا: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: لَاقَادِرَ عَلَى الِاخْتِرَاعِ وَالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَّا اللهُ".

وَهَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْكَلَامِ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ فَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى مَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ الْمُشْرِكُونَ؛ حَيْثُ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، فَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي فَسَّرَ أَهْلُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ بِهِ.

وَالْمُشْرِكُونَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ هَذَا الْإِقْرَارُ، وَلَا عَصَمَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ.

❀ ❀ ❀

◐ وَمِنَ النَّاسِ - وَهُمُ الْجَهْمِيَّةُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ - فَسَّرُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ بِأَنْ نَفَوْا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ عَنِ اللهِ ﷻ؛ فَالْمُوَحِّدُ

عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يَنْفِي الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا عَنِ اللهِ ﷻ، وَمَنْ أَثْبَتَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ ﷻ؛ فَهَذَا - عِنْدَهُمْ - مُشْرِكٌ.

۞ ۞ ۞

◐ وَفَسَّرَ الْحِزْبِيُّونَ مِنَ الْقُطْبِيِّينَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ؛ فَقَالُوا: "لَا إِلَهَ إِلا اللهُ: لَا حَاكِمِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ"، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: لَا حَاكِمَ إِلَّا اللهُ"، وَقَالَ آخَرُ: "تَوْحِيدُ الْحَاكِمِيَّةِ أَخَصُّ خَصَائِصِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ"، وَقَالَ: "فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾"، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ.

فَلَا شَكَّ أَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ﷻ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ لِهَذَا الْكَوْنِ؛ فَلَهُ الْحُكْمُ، وَكَذَلِكَ يَدْخُلُ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللهَ أَمَرَنَا أَنْ نَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ، فَمِنَ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ أَنْ نَتَحَاكَمَ إِلَى شَرْعِهِ؛ فَالْحُكْمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَلَيْسَ هُوَ كُلَّ التَّوْحِيدِ، وَلَيْسَ قِسْمًا مُنْفَصِلًا، وَلَا هُوَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، وَإِنَّمَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا يَشْمَلُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ.

وَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْقُطْبِيِّينَ إِذَا كَانَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: "لَا حَاكِمَ إِلَّا اللهُ"؛ فَأَيْنَ بَقِيَّةُ الْعِبَادَاتِ؟! أَيْنَ الصَّلَاةُ بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا؟! وَأَيْنَ الزَّكَاةُ؟!

وَأَيْنَ الْحَجُّ وَالصِّيَامُ؟! وَأَيْنَ بَقِيَّةُ الْعِبَادَاتِ؟!

❀ ❀ ❀

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

فَفَسَّرُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" بِأَنَّ مَعْنَاهَا: "لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلا اللهُ"؛ فَالْمَعْبُودَاتُ كَثِيرَةٌ، وَالْمَعْبُودُ بِحَقٍّ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَمَا سِوَاهُ فَعِبَادَتُهُ بَاطِلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ تَشْتَمِلُ عَلَى: نَفْيٍ، وَإِثْبَاتٍ:

- فَـ"لَا إِلَهَ": تَنْفِي الْإِلَهِيَّةَ عَمَّا سِوَى اللهِ ﷻ.
- وَ"إِلَّا اللهُ" تُثْبِتُ الْأُلُوهِيَّةَ لِلَّهِ ﷻ.

وَالدِّينُ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمِنْ أَجْلِهَا أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَإِلَيْهَا دَعَتْ جَمِيعُ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

فَقَدْ هَدَى اللهُ ﷻ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِلَى الْحَقِّ - بِإِذْنِهِ - فَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ؛ فَفَسَّرُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ تَفْسِيرًا صَحِيحًا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَعَرَفُوا حَقَّهَا وَدَعَوْا إِلَيْهَا عَلَى طَرِيقَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

❀ ❀ ❀

كَمَا هَدَاهُمُ اللهُ ﷻ إِلَى الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَيْضًا. هَذَا الْبَابُ الَّذِي ضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامٌ، وَزَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامٌ، وَثَبَّتَ اللهُ ﷻ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ ﷻ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ فِيمَا صَحَّ مِنْ سُنَّتِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، إِثْبَاتًا حَقِيقِيًّا دُونَ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَكْيِيفٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١].

● ● ●

وَثَبَّتَهُمُ اللهُ فِي الْفِتَنِ؛ فَلَمْ يَتَحَوَّلُوا وَيَنْقَلِبُوا، وَلَمْ يُبَدِّلُوا، وَلَمْ تَغُرَّهُمُ الْفِتَنُ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا؛ بَلْ قَامُوا فِيهَا مَقَامًا مَحْمُودًا، غُبِطُوا عَلَيْهِ، وَحُمِدُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَلْهَثُوا وَرَاءَ السَّرَابِ الَّذِي ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

وَثَبَتُوا عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخَذُوا بِوَصِيَّتِهِ؛ فَتَعَامَلُوا مَعَ الْفِتَنِ النَّازِلَةِ كَمَا أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرُوا مِنْهَا، وَدَعَوُا النَّاسَ إِلَى عَدَمِ الْخَوْضِ فِيهَا مَهْمَا كَانَتِ الشِّعَارَاتُ؛ فَهِيَ شِعَارَاتٌ بَرَّاقَةٌ، لَكِنَّهَا خَدَّاعَةٌ، خَدَعَتْ كَثِيرًا مِنَ الدُّعَاةِ؛ فَخَلَعُوا ثَوْبَ الدَّعْوَةِ، وَلَبِسُوا لِبَاسَ الشَّهْوَةِ، وَغَرَّتْهُمُ

الشِّعَارَاتُ الَّتِي أَعْشَتْ أَبْصَارَهُمْ؛ فَلَمْ يُمَيِّزُوا، وَدَخَلُوا فِي الْفِتَنِ.

زَعَمُوا أَنَّ الْفُرْصَةَ مُوَاتِيَةٌ لِتَطْبِيقِ شَرْعِ اللهِ ﷻ، وَأَبَاحُوا مَا كَانُوا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ يُنَادُونَ بِحُرْمَتِهِ، فَقَدْ صَارَ مَا كَانَ مُحَرَّمًا حَلَالًا، وَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ؛ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ الْقَوْمُ مِنْ غَفْوَتِهِمْ، وَاسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمَتِهِمْ؛ فَوَجَدُوا أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا سَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، فَلَمَّا جَاءَهُ؛ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا، وَفَقَدُوا مِصْدَاقِيَّتَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ. وَبِسَبَبِ تَقَلُّبِهِمْ؛ أَسَاءُوا لِلدَّعْوَةِ، وَأَفْسَدُوا مَا كَانَ يُظَنُّ فِيهِ الصَّلَاحُ، وَوَضَعُوا الْحَوَاجِزَ بَيْنَ الدَّعْوَةِ وَالنَّاسِ، فَاللهُ حَسِيبُهُمْ.

● ● ●

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ:

فَوَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى فَاسْتَقَامُوا عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ: عَلَى مِنْهَاجِ سَيِّدِ الدُّعَاةِ، وَإِمَامِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَحَذَّرُوا مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَحَذَّرُوا مِنَ الدُّخُولِ بِاسْمِ إِقَامَةِ الشَّرْعِ فِي: الْمُظَاهَرَاتِ، وَالِانْتِخَابَاتِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُحْدَثَاتِ.

وَنَادَوْا بِصَوْتٍ عَالٍ أَقَضَّ مَضَاجِعَ الْحِزْبِيِّينَ وَالْحَرَكِيِّينَ وَإِخْوَانِهِمْ، وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الْقُطْبِيِّينَ؛ فَقَالُوا: لَيْسَ هَذَا بِطَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ؛ فَالْزَمُوا طَرِيقَهُ وَتَمَسَّكُوا بِغَرْزِهِ.

وَلَمْ يَغُرَّهُمْ أَوْ يَخْذُلْهُمْ نِدَاءُ الْحِزْبِيِّينَ وَالْحَرَكِيِّينَ وَالْقُطْبِيِّينَ:

نَتْرُكُهَا لِمَنْ؟ إِلَى مَنْ تَتْرُكُونَ الْبَرْلَمَانَ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ حِزْبُ الرَّحْمَنِ (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ):

وَنَحْنُ نَسْأَلُكُمْ إِلَى مَنْ تَتْرُكُونَ دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى الرَّحْمَنِ؟!

هَلَّا سَأَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ سُؤَالًا:

هَلْ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْلَاحِ الدَّوْلَةِ (أَيْ: بِالْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ)، أَمْ: قَامَ بِإِصْلَاحِ النَّاسِ (أَيْ: بِالْإِصْلَاحِ التَّرْبَوِيِّ الْعَقَدِيِّ)؟!

وَالْجَوَابُ وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ:

هُوَ أَنَّهُ ﷺ قَامَ بِإِصْلَاحِ النَّاسِ عَقِيدَةً وَتَرْبِيَةً، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ ابْتِدَاءً.

● ● ●

هَكَذَا فَعَلَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَوَفَّقَهُمُ اللهُ ﷻ لِاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ، فَسَلَكُوا سَبِيلَهُ فِي الدَّعْوَةِ وَالْعَمَلِ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

● ● ●

هَذَا، وَقَدْ رَاجَعْتُ هَذِهِ الطَّبْعَةَ مُرَاجَعَةً مُتَأَنِّيَةً:

* أَصْلَحْتُ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَخْطَاءِ الطِّبَاعِيَّةِ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى.
* وَزِدْتُ بَعْضَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي رَأَيْتُهَا مُنَاسِبَةً.
* كَمَا رَاجَعْتُ هَذِهِ الطَّبْعَةَ عَلَى طَبْعَةِ عَالَمِ الْفَوَائِدِ، وَأَثْبَتُّ الْفُرُوقَ فِي الْهَامِشِ.
* وَأَكْمَلْتُ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنَ الْمُحَاضَرَةِ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنْ طَبْعَةِ عَالَمِ الْفَوَائِدِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذِهِ الطَّبْعَةِ - كَمَا نَفَعَ بِسَابِقَتِهَا -، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهَا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وكتب:

أبو عبد الله ربيع بن زكريا بن محمد أبو هرجة

ليلة الأربعاء ٢١ من شوال ١٤٣٤هـ

٢٨/٨/٢٠١٣م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ هُدًى وَنُورًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَكَلَّفَهُ تِبْيَانَهُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فَقَامَ بِذَلِكَ ﷺ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَتَمِّهِ وَأَحْسَنِهِ؛ فَكَانَ هُوَ ﷺ الْمُعَبِّرَ عَنْ كِتَابِ اللهِ، الدَّالَّ عَلَى مَعَانِيهِ، شَاهَدَهُ فِي ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ﵃، الَّذِينَ ارْتَضَاهُمُ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ،

وَاصْطَفَاهُمْ لَهُ، وَنَقَلُوا ذَلِكَ عَنْهُ؛ فَكَانُوا هُمْ أَعْلَمَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِمَا أَرَادَ اللهُ مِنْ كِتَابِهِ؛ فَكَانُوا هُمُ الْمُعَبِّرِينَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: "وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ"(١).

فَكَانُوا بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَائِرِينَ، وَبِهَدْيِهِ مُهْتَدِينَ، وَبِسُنَّتِهِ عَامِلِينَ، لَا يَصُدُّهُمْ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، وَلَا يَرُدُّهُمْ عَنْهُ رَادٌّ.

مَضَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرُ الْقُرُونِ: وَهُمُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ يُوصِي بِهِ الْأَوَّلُ الْآخِرَ، وَيَقْتَدِي اللَّاحِقُ بِالسَّابِقِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِنَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ مُقْتَدُونَ، وَعَلَى مِنْهَاجِهِ سَالِكُونَ، لَمْ يُؤْثَرْ عَنْهُمْ أَيُّ خِلَافٍ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ؛ بَلْ كَانُوا جَمِيعًا عَلَى مَنْهَجٍ وَاحِدٍ وَسَبِيلٍ وَاضِحٍ: هُوَ مَا تَرَكَهُمْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

● ● ●

- وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ الْمَقْرِيزِيُّ فِي خُطَطِهِ، حَيْثُ قَالَ (٢/ ٣٥٦):

"اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مِنَ الْعَرَبِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، وَصَفَ لَهُمْ رَبَّهُمْ سبحانه وتعالى، بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ،

---

(١) مُسْلِمٌ (١٢١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٩٠٥)، وَغَيْرُهُمَا.

الَّذِي نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِهِ ﷺ الرُّوحُ الْأَمِينُ، وَبِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ تَعَالَى.

فَلَمْ يَسْأَلْهُ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَسْرِهِمْ، قَرَوِيِّهِمْ وَبَدَوِيِّهِمْ عَنْ مَعْنَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَسْأَلُونَهُ ﷺ عَنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا لِلَّهِ فِيهِ - سُبْحَانَهُ - أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَكَمَا سَأَلُوهُ ﷺ عَنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ إِذْ لَوْ سَأَلَهُ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؛ لَنُقِلَ كَمَا نُقِلَتِ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ عَنْهُ ﷺ فِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَالْمَلَاحِمِ وَالْفِتَنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ الْحَدِيثِ: مَعَاجِمُهَا، وَمَسَانِيدُهَا، وَجَوَامِعُهَا.

وَمَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي دَوَاوِينِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَوَقَفَ عَلَى الْآثَارِ السَّلَفِيَّةِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ قَطُّ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ، وَلَا سَقِيمٍ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ - عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ - أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ مَعْنَى شَيْءٍ، مِمَّا وَصَفَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ بِهِ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ بَلْ كُلُّهُمْ فَهِمُوا مَعْنَى ذَلِكَ، وَسَكَتُوا عَنِ الْكَلَامِ فِي الصِّفَاتِ.

نَعَمْ! وَلَا فَرَّقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَ كَوْنِهَا: صِفَةَ ذَاتٍ، أَوْ صِفَةَ فِعْلٍ، وَإِنَّمَا أَثْبَتُوا لَهُ - تَعَالَى - صِفَاتٍ أَزَلِيَّةً: مِنَ الْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْإِرَادَةِ،

وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْكَلَامِ، وَالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْجُودِ وَالْإِنْعَامِ، وَالْعِزِّ وَالْعَظَمَةِ، وَسَاقُوا الْكَلَامَ سَوْقًا وَاحِدًا.

وَهَكَذَا أَثْبَتُوا ﷺ مَا أَطْلَقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ: مِنَ الْوَجْهِ، وَالْيَدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مَعَ نَفْيِ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَأَثْبَتُوا ﷺ بِلَا تَشْبِيهٍ، وَنَزَّهُوا مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ - مَعَ ذَلِكَ - أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى تَأْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، وَرَأَوْا بِأَجْمَعِهِمْ إِجْرَاءَ الصِّفَاتِ كَمَا وَرَدَتْ.

وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ سِوَى كِتَابِ اللهِ، وَلَا عَرَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الطُّرُقِ الْكَلَامِيَّةِ، وَلَا مَسَائِلِ الْفَلْسَفَةِ؛ فَمَضَى عَصْرُ الصَّحَابَةِ ﷺ عَلَى هَذَا". ثُمَّ بَدَأَ يَذْكُرُ بِدَايَةَ الِانْحِرَافِ فِي الْأُمَّةِ.

كَانَ عِلْمُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: كِتَابَ رَبِّهِمْ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

● ● ●

- **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَوَائِدِ الْفَوَائِدِ» (ص٢٣٧، ٢٣٨):**

"حَكَى الْحَاكِمُ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا اجْتَمَعُوا، إِنَّمَا يَتَذَاكَرُونَ كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ رَأْيٌ وَلَا قِيَاسٌ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بالتَّمْوِيهِ

مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

كَلَّا وَلَا جَحْدَ الصِّفَاتِ وَنَفْيَهَا حَذَرًا مِنَ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ".

● ● ●

• وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْحَمَوِيَّةِ» (ص ١٩٥):

"فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى، وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَمِنَ الْمُحَالِ فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ، أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ، الَّذِي أَخْرَجَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ، إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ، وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.

وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ - مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ -

أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا، فَلَمْ يُمَيِّزْ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.

فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ، وَأَسَاسُ الْهِدَايَةِ، وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا الْبَابَ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا؟!

وَمِنَ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ...، مُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ - أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ الْمَعَارِفِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ، وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ؛ بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ...". إِلَى آخِرِ مَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ، وَقَدْ تَصَرَّفْتُ فِي النَّقْلِ بَعْضَ الشَّيْءِ.

● ● ●

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْخَلْقِ: اتِّبَاعُ الْمَعْصُومِ، الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، وَعَلَى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ تُوزَنُ جَمِيعُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْوَالِ؛ **فَالتَّمَسُّكُ بِالْوَحْيَيْنِ - الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ - هُوَ سَبِيلُ النَّجَاةِ**.

● ● ●

• قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٧/ ٣٥٣: ٣٥٦):

"يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَقِيدَةِ إِلَى شَيْئَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ مَا أَرَادَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ بِأَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِأَنْ يَعْرِفُوا لُغَةَ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، وَمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَائِرُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَانِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ.

فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا خَاطَبَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَرَّفَهُمْ مَا أَرَادَ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَكَانَتْ مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ أَكْمَلَ مِنْ حِفْظِهِمْ لِحُرُوفِهِ، وَقَدْ بَلَّغُوا تِلْكَ الْمَعَانِيَ إِلَى التَّابِعِينَ أَعْظَمَ مِمَّا بَلَّغُوا حُرُوفَهُ؛ فَإِنَّ الْمَعَانِيَ الْعَامَّةَ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ: مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَمَعْنَى الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ، وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

كَانَ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ يَعْرِفُونَ مَا أَحَبَّ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَحْفَظُهُ مِنْهُمْ أَهْلُ التَّوَاتُرِ، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذِكْرِ وَصْفِ اللهِ، بِأَنَّهُ أَحَدٌ وَوَاحِدٌ، وَمِنْ ذِكْرِ أَنَّ إِلَهَكُمْ وَاحِدٌ، وَمِنْ ذِكْرِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابَةُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ أَصْلُ الدِّينِ،

وَهُوَ أَوَّلُ مَا دَعَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَيْهِ الْخَلْقَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يُقَاتِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا دَعَا رُسُلَهُ أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِهِ، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا دَعَا الْخَلْقَ إِلَى أَنْ يَقُولُوا: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"...".

قَالَ: "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَمَا أَرَادَهُ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، هُوَ أَصْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ.

الثَّانِي(*): ثُمَّ مَعْرِفَةُ مَا قَالَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ؛ لِيَنْظُرَ الْمَعَانِيَ الْمُوَافِقَةَ لِلرَّسُولِ، وَالْمَعَانِيَ الْمُخَالِفَةَ لَهَا.

وَالْأَلْفَاظُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَنَوْعٌ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

فَيَعْرِفُ مَعْنَى الْأَوَّلِ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الْأَصْلَ، وَيَعْرِفُ مَا يَعْنِيهِ النَّاسُ بِالثَّانِي، وَيُرَدُّ إِلَى الْأَوَّلِ؛ هَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْهُدَى وَالسُّنَّةِ.

وَطَرِيقُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْبِدَعِ بِالْعَكْسِ؛ يَجْعَلُونَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَمَعَانِيَهَا هِيَ الْأَصْلَ، وَيَجْعَلُونَ مَا قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ تَبَعًا لَهُمْ؛ فَيَرُدُّونَهَا بِالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ إِلَى مَعَانِيهِمْ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ، يَعْنُونَ: أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ

(*) زِدْتُهَا لِلْبَيَانِ.

مَعْنًى بِعَقْلِهِمْ وَرَأْيِهِمْ؛ ثُمَّ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ، بِمَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ التَّأْوِيلاتِ، وَالتَّفْسِيرَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ". اهـ.

● ● ●

• **وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ "عَقِيدَةِ السَّلَفِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ"[(١)] (ص ١٦٠: ١٦٤):**

"أَصْحَابُ الْحَدِيثِ - حَفِظَ اللهُ تَعَالَى أَحْيَاءَهُمْ، وَرَحِمَ أَمْوَاتَهُمْ - يَشْهَدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِلرَّسُولِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَيَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِهِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا وَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، أَوْ شَهِدَ لَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ؛ عَلَى مَا وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ الصِّحَاحُ بِهِ، وَنَقَلَتِ الْعُدُولُ الثِّقَاتُ عَنْهُ.

وَيُثْبِتُونَ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ تَشْبِيهًا لِصِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ؛ كَمَا نَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ بِحَمْلِ الْيَدَيْنِ عَلَى النِّعْمَتَيْنِ، أَوِ الْقُوَّتَيْنِ؛ تَحْرِيفَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ - أَهْلَكَهُمُ اللهُ -، وَلَا يُكَيِّفُونَهُمَا بِكَيْفٍ، أَوْ يُشَبِّهُونَهُمَا بِأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، تَشْبِيهَ الْمُشَبِّهَةِ - خَذَلَهُمُ اللهُ -.

---

(١) أَوِ: "الرِّسَالَةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَالأَئِمَّةِ".

وَقَدْ أَعَاذَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَالتَّشْبِيهِ، وَالتَّكْيِيفِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِالتَّعْرِيفِ وَالتَّفْهِيمِ؛ حَتَّى سَلَكُوا سَبِيلَ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ، وَتَرَكُوا الْقَوْلَ بِالتَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، وَاتَّبَعُوا قَوْلَ اللهِ عَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]...". إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

• • •

• **قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي "الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ" (ص ١٩، ٢٠) مُبَيِّنًا طَرِيقَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ:**

"مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

* اتِّبَاعُ: آثَارِ الرَّسُولِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

* وَاتِّبَاعُ: سَبِيلِ السَّابِقِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

* وَاتِّبَاعُ: وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ: **"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"**(١).

* وَيَعْلَمُونَ: أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦-١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذيّ (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢،٤٣،٤٤)، وابن حبان رقم (٥).

ويُرَاجع ما قاله ابن رجب حوله في "جامع العلوم والحكم" حديث (٢٨)، والألبانيّ في "النَّصيحة" (ص ٣١) وما بعدها، وقد نَقَلَ ابن عبد البرِّ في "جامع بيان العلم وفضله" عن أبي بكر البَزَّار قوله في هذا الحديث أنه ثابت صحيح، وقال: هو كما قال البزَّار: حديث عِرْبَاض حديث ثابت (٢/ ١٨٢).

* وَيُؤْثِرُونَ: كَلَامَ اللهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ.

* وَيُقَدِّمُونَ: هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا: (أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)...".

● ● ●

• **قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ - وَهُوَ يَشْرَحُ الْحَدِيثَ السَّابِقَ - "جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ" (ص ٤٩٥):**

"فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَمْرٌ عِنْدَ الِافْتِرَاقِ، وَالِاخْتِلَافِ، بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَالسُّنَّةُ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ؛ فَيَشْمَلُ ذَلِكَ التَّمَسُّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ؛ وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ قَدِيمًا، لَا يُطْلِقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَرُوِيَ مَعْنَى ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَخُصُّ اسْمَ السُّنَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادَاتِ؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، وَالْمُخَالِفُ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ". اهـ.

● ● ●

فَهَذِهِ أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ، الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى وَالْإِتْقَانِ، الْمَوْثُوقِ بِهِمْ فِيمَا يَنْقُلُونَهُ إِلَى الْأَنَامِ؛ يَرُدُّونَ الْعِلْمَ إِلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ،

وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ﷺ، يُوصِي بِهِ الْأَوَّلُ الْآخِرَ، وَيَقْتَدِي فِيهِ اللَّاحِقُ بِالسَّابِقِ، وَهَذَا الَّذِي لَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ - الَّذِي يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَيَخَافُ الْعَرْضَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ - خِلَافُهُ.

● ● ●

• **بَقِيَ أَنْ أَنْقُلَ مَا ذَكَرَهُ مُوَفَّقُ الدِّينِ ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي رِسَالَتِهِ "ذَمِّ التَّأْوِيلِ" عَنِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْخَطِيبِ، قَالَ:**

"أَمَّا الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ، فَإِنَّ مَا رُوِيَ مِنْهَا فِي السُّنَنِ الصِّحَاحِ؛ مَذْهَبُ السَّلَفِ رضي الله عنهم إِثْبَاتُهَا، وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا.

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَلَى الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَيُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ، فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إِثْبَاتَ رَبِّ الْعَالَمِينَ عز وجل، إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ، لَا إِثْبَاتَ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ.

فَإِذَا قُلْنَا لِلَّهِ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ؛ فَإِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ صِفَاتٍ، أَثْبَتَهَا اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَلَا نَقُولُ إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ: الْقُدْرَةُ، وَلَا أَنَّ مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ: الْعِلْمُ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا جَوَارِحُ، وَلَا نُشَبِّهُهَا بِالْأَيْدِي وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ؛ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ وَأَدَوَاتُ الْفِعْلِ، وَنَقُولُ إِنَّمَا وَرَدَ إِثْبَاتُهَا؛ لِأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا، وَوَجَبَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهَا؛

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤]". اهـ (ص ١٨).

• • •

وَقَدْ نَقَلَ فِي رِسَالَتِهِ نَحْوَ مَا ذَكَرَهُ عَنِ الْخَطِيبِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، كُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى الِاسْتِمْسَاكِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالْإِيمَانِ بِمَا وَرَدَ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ مِنْ صِفَاتِهِ ﷻ، وَإِثْبَاتِهَا، وَإِجْرَائِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَنَفْيِ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَلَى الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَإِثْبَاتُ الذَّاتِ إِثْبَاتُ وُجُودٍ، لَا إِثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ؛ فَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، وَعَلَى هَذَا مَضَى السَّلَفُ كُلُّهُمْ.

• • •

فَالطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ - الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ سُلُوكُهَا؛ وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ خَطَرٌ فِي اتِّبَاعِهَا، وَلَا يَلْحَقُهُ عَيْبٌ، وَلَا ضَرَرٌ مِنِ اقْتِفَائِهَا -:

هِيَ الْوُقُوفُ عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَمَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ؛ أَثْبَتْنَاهُ، وَمَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ﷻ؛ نَفَيْنَاهُ، وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ؛ أَثْبَتْنَاهُ، وَمَا نَفَاهُ عَنْ رَبِّهِ ﷻ؛ نَفَيْنَاهُ، لَا نُكَيِّفُ، وَلَا نُمَثِّلُ، وَلَا نُشَبِّهُ، وَلَا نُعَطِّلُ؛ مُقْتَدِينَ فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُتَّبِعِينَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَالسَّلَفَ الصَّالِحَ

مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَالأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّينَ، مُجَانِبِينَ أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ؛ سَالِمِينَ أَنْ نَقُولَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مَالَا نَعْلَمُ، أَوْ نَقُولَ فِي كِتَابِ اللهِ، أَوْ صِفَاتِهِ بِرَأْيِنَا، أَوْ نَصِفَ اللهَ تَعَالَى بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا وَصَفَهُ رَسُولُهُ ﷺ، أَوْ نَسْلِبَ عَنِ اللهِ تَعَالَى صِفَةً رَضِيَاهَا لِنَفْسِهِ، أَوْ رَضِيَاهَا لَهُ رَسُولُهُ ﷺ.

● ● ●

فَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا سِوَاهُ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي هِيَ سُبُلُ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

● ● ●

- **أَمَّا سَبَبُ إِعْدَادِ هَذَا الْبَحْثِ:**

فَقَدْ كُنْتُ أَقْرَأُ فِي كِتَابِ **"مَنْهَجٍ وَدِرَاسَاتٍ لِآيَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"**، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ: مُحَاضَرَةٍ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، أَلْقَاهَا الشَّيْخُ: **مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ** صَاحِبُ **"أَضْوَاءِ الْبَيَانِ"** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدِي شَرِيطٌ لِلْمُحَاضَرَةِ؛ فَقُلْتُ: أَسْمَعُ الشَّرِيطَ مَعَ مُرَاجَعَةِ الْكِتَابِ؛ فَرَأَيْتُ الْمُعِدَّ لِمَادَّةِ الشَّرِيطِ كِتَابَةً، قَدْ زَادَ وَنَقَصَ وَبَدَّلَ،

فَزَادَ كَلِمَاتٍ لَمْ يَقُلْهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَحَذَفَ كَلِمَاتٍ قَالَهَا، وَبَدَّلَ كَلِمَاتٍ مِنْ عِنْدِهِ مَكَانَ كَلِمَاتٍ قَالَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدَّمَ كَلِمَاتٍ وَأَخَّرَ أُخْرَى .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مُنَافٍ لِلْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ؛ إِذِ الْأَمَانَةُ الْعِلْمِيَّةُ تَقْتَضِي أَنْ يَتْرُكَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ - كَمَا هُوَ -، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ شَيْئًا، أَوْ يُعَلِّقَ تَعْلِيقًا جَعَلَ ذَلِكَ فِي الْهَامِشِ، أَمَّا أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي النَّصِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ فَهَذَا مُنَافٍ لِلْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِلَا شَكٍّ[1].

فَالْوَاجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأُصُولِ لَا طَمْسَهَا وَلَا تَغْيِيرَهَا .

● ● ●

وَسَأَذْكُرُ بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ - إِذْ تَتَبُّعُ ذَلِكَ يَطُولُ -؛ حَتَّى لَا يَكُونَ مَا ذَكَرْتُهُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، أَوْ أَكُونَ مُتَجَنِّيًا عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا كَانَ قَصْدِي بَيَانَ الْحَقِّ، بِذِكْرِ مَقَالَةِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَهَا.

ص	س	النَّصُّ فِي الْكِتَابِ	النَّصُّ كَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ
٤٣	٥	في البحث في آيات الصفات	في آيات الصفات
	٦	في ذلك الموضوع من البدع	في ذلك الموضوع هذا من البدع
	٧	دلَّ القرآن العظيم أنه	دلَّ القرآن الكريم على أنه
	١٢	أحد هذه الأسس الثلاثة هو	أحد هذه الأسس الثلاثة الأول منها هو

(١) خَاصَّةً؛ وَقَدْ قَالَ (ص ٤٣) - أَوَّلُ صَفْحَةٍ فِي الرِّسَالَةِ -: هَذِهِ الرِّسَالَةُ نَصُّ مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا الشَّيْخُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِتَارِيخِ ١٣ رَمَضَانَ ١٣٨٢هـ.

٤٤	٥	والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ	وما وصفه به رسوله ﷺ
	٨	فيلزم كل مكلَّف	فيلزم على كل مكلَّف
	١٢	وتجرأ على الله بهذه الجرأة	وتجرأ على الله هذه الجراءة العظيمة
	١٣	وصفًا أثبته لنفسه	وصفًا أثبته ربه لنفسه
	١٧	وألغيه "بالغين المعجمة"	وأنفيه "بالفاء"
	١٧	لأي	إلى
٤٥	١	عن تشبيه صفاته بصفات	عن مشابهة صفات الخلق
	٨	فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفات سمعه وبصره	فكأن الله يشير للخلق بأن يقول: لا تنفوا عني صفة سمعي وبصري
	٩	بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره	لا وكلا، بل أثبتوا لي صفة سمعي وصفة بصري
	١١	والمخلوقات لهم صفات	والمخلوقون لهم صفات
	١٦	صفة	صفات
	١٩	فهو مجنون	رجل مجنون
٤٦	١١	بأنَّ خالق السموات والأرض	بأنَّ صفة خالق السموات والأرض
	١٢	وأنَّ صفة المخلوقين	وأنَّ صفة المخلوق
	١٤	لعجزه وافتقاره	لعجزه وفنائه وافتقاره
	١٨	وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها	وينكرون سائرها من المعاني
٤٧	٨	فرارًا منهم من تعدد القديم	لم يذكر الشيخ هذا
٥٢		في ضابط الصفة السلبية...غير أن تدل على معنى وجودي قائم بالذات	غير أن تدل على معنى وجودي زائد على الذات
٥٣		ذكر حديث دخول المسجد: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم..."	ولم يذكره الشيخ

٥٤		ولا شك أنَّ ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله كما أن للمخلوقين أوَّلية...	ولا شك أنَّ لله أوَّلية وآخرية لائقتان بكماله وجلاله
٥٦		لا وجه له لأنها	... ومتكلمًا أنها في الحقيقة ...
٦٦	٥	بفلسفة	بأقيسة
	١٠	واستثنائية	لم يذكرها الشيخ
	١٢	لو كان مستويًا على عرشه لكان مشابهًا للخلق، لكنه لم يكن مشابهًا للخلق فينتجون ليس مستويًا على العرش وعظم هذا الافتراء كما ترى	لو كان مستويًا على عرشه - والعرش مخلوق - لكان مشابهًا للخلق في استوائه على العرش
٧١	١	الذي فُتِنَ به الخلقُ	الذي فَتَنَ اللهُ به الخلقَ
٧٩ - ٨٠		فالظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وما جرى مجرى ذلك، هل نقول: الظاهر المتبادر من هذه الصفة هو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نقول ونصرف اللفظ عن ظاهره أو ظاهرها المتبادر منها تنزيه رب السموات والأرض	إذن فنقول: ما الظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وقوله: ما(...)[1] صفة النزول وصفة المجيء وما جرى مجرى ذلك؟ هل نقول: ما الظاهر المتبادر من هذه الصفة أهو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نؤول ونصرفه عن ظاهره؟ أو هو تنزيه رب السموات والأرض حتى يجب علينا أن نقرَّه على الظاهر من التنزيه؟
٨١	٣	لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث	لو كان مستويًا على العرش -والفرض أنَّ العرش مخلوق- لكان مشابهًا
	٧	هذا قياس استثني فيه نقيض التالي	هذا قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية استثني فيه نقيض التالي

(١) كلمة غير واضحة لعلها "ظاهر"، أو لعلَّه سَبْقُ لِسَانٍ والمراد: "وصفة النزول...إلخ"، والله أعلم.

عَلَى أَنَّ تَتَبُّعَ مِثْلِ هَذَا يَطُولُ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ نَمَاذِجَ لَا تَكَادُ تَخْلُو صَفْحَةٌ مِنْ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ مِنْهَا - اللَّهُمَّ إِلَّا نَذْرٌ يَسِيرٌ كَمَا فِي صَفْحَةِ (٥٩-٦٠-٦١) -.

◍ ◍ ◍

وَقَدِ انْتَهَى الشَّرِيطُ عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَخِتَامًا يَا إِخْوَانِ، نُوصِيكُمْ وَأَنْفُسَنَا بِتَقْوَى اللهِ.

وَقَدْ زَادَ الْكَاتِبُ الَّذِي أَعَدَّ الْمُحَاضَرَةَ كَلَامًا يَتَلَخَّصُ فِي نُقْطَتَيْنِ:

- **الْأُولَى: عَنْ شَبَهِ الْمُؤَوِّلِينَ بِالْيَهُودِ.**
- **الثَّانِيَةُ: عَنْ قَوْلِهِمْ: "مَذْهَبُ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَمَذْهَبُ الْخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ".**

وَجَوَابُ الشَّيْخِ عَنْ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّسَخِ لِهَذِهِ الْمُحَاضَرَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ، لَكِنَّ الشَّرِيطَ قَدْ سُجِّلَ فِيمَا بَقِيَ فِيهِ مِنْ فَرَاغٍ تِلَاوَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

◍ ◍ ◍

عَلَى أَنَّنِي أُنَبِّهُ إِلَى أَمْرٍ ذِي أَهَمِيَّةٍ أَلَا وَهُوَ:

أَنَّهُ لَيْسَ فِي التَّعَقُّبِ، وَبَيَانِ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ عَيْبٌ، وَلَا نَقْصٌ؛ إِذِ الْإِنْسَانُ قَدْ جُبِلَ عَلَى الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ، وَقَدْ قِيلَ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا؛ لِأَنَّهُ يَنْسَى"، وَلَعَلَّ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]،

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ"(١). وَأَوَّلُ مَنْ نَسِيَ أَبُونَا آدَمُ عليه السلام.

وَإِنَّمَا أَخَذَ الْعُلَمَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِيمَا يَقَعُ مِنَ الْخَطَأِ وَالسَّهْوِ؛ نَصِيحَةً مِنْهُمْ لِلْعِلْمِ وَحِفْظِهِ؛ وَلِئَلَّا يَكُونَ خِيَانَةً مِنْهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ.

هَذَا وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ يَكُونَ عُنْوَانَ الْكِتَابِ هُوَ عُنْوَانُ الْمُحَاضَرَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا الشَّيْخُ رحمه الله؛ حَيْثُ ذَكَرَ الشَّيْخُ عَطِيَّة سَالِم رحمه الله فِي تَرْجَمَتِهِ لِشَيْخِهِ عِدَّةَ مُحَاضَرَاتٍ مِنْهَا: "آيَاتُ الصِّفَاتِ"؛ لِذَا آثَرْتُ أَنْ يَكُونَ الْعُنْوَانُ هُوَ: **"آيَاتُ الصِّفَاتِ"**.

وكتب:

أبو عبد الله ربيع بن زكريا

في ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٦



(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٧٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ورقم (٣٣٦٨)، وقال: "حسن غريب" من طريقين عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ. وأخرجه ابن حبان (٢٠٨٢) "موارد الظمآن"، والحاكم (١/ ١٣٢) رقم (٢١٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وذكر له شاهدًا بنحوه (١/ ١٣٢) رقم (٢١٥)، والحديث صحيح بشواهده.

تَعْرِيفٌ مُوجَزٌ بِالشَّيْخِ الشَّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى

- هُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْقُرْآنِيُّ:

مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ نُوحِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُخْتَارِ.

يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى **"جَاكن الْأَبَرِّ"**: جَدِّ الْقَبِيلَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِـ**"الْجِكْنِيِّينَ"**.

● ● ●

- وُلِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي عَامِ ١٣٢٥ هـ.

- وَكَانَ مَسْقَطُ رَأْسِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عِنْدَ مَاءٍ يُسَمَّى **"تَنْبَه"**، مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ **"كِيفَا"**، مِنَ الْقُطْرِ الْمُسَمَّى بِـ**"شِنْقِيطَ"**، وَهُوَ: **"دَوْلَةُ مُورِيتَانْيَا الْإِسْلَامِيَّةُ"** الْآنَ.

● ● ●

- تُوُفِّيَ وَالِدُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ فِي بَيْتِ أَخْوَالِهِ وَعُمُرُهُ عَشْرُ سَنَوَاتٍ، وَتَعَلَّمَ رَسْمَ الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ، وَالتَّجْوِيدَ بِرِوَايَةِ وَرْشٍ وَقَالُونَ عَلَى يَدِ ابْنِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَأَخَذَ عَنْهُ سَنَدًا بِذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

- وَدَرَسَ بَعْضَ الْمُخْتَصَرَاتِ فِي فِقْهِ مَالِكٍ، وَدَرَسَ الْأَدَبَ دِرَاسَةً وَاسِعَةً، وَأَخَذَ مَبَادِيءَ النَّحْوِ كَالْآجُرُّومِيَّةِ، وَتَمْرِينَاتٍ وَدُرُوس وَاسِعَة فِي أَنْسَابِ الْعَرَبِ، وَأَيَّامِهِمْ، وَالسِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ، وَنَظْمَ الْغَزَوَاتِ، وَأَمَّا الْمَنْطِقُ وَآدَابُ الْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ؛ فَقَدْ حَصَّلَهُ بِالْمُطَالَعَةِ.

◍ ◍ ◍

- **أَعْمَالُهُ:**

كَانَتْ أَعْمَالُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَعَمَلِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الدَّرْس، وَالْفُتْيَا، لَكِنَّهُ اشْتُهِرَ بِالْقَضَاءِ وَالْفَرَاسَةِ فِيهِ.

خَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ؛ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ عَلَى نِيَّةِ الْعَوْدَةِ، وَهُنَاكَ تَجَدَّدَتْ لَهُ نِيَّةُ الْبَقَاءِ. وَفِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الْتَقَى بِالشَّيْخَيْنِ: الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ الزَّاحِمِ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحٍ، وَتَوَطَّدَتِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَرَغِبَ فِي هَذَا الْجِوَارِ، وَكَانَ يَقُولُ: **"لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَعْظَمُ مِنْ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ"**. وَتَوَلَّى التَّدْرِيسَ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى كَالْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ، وَكُلِّيَّتَي الشَّرِيعَةِ وَاللُّغَةِ، وَمَعْهَدِ الْقَضَاءِ الْعَالِي بِالرِّيَاضِ، وَالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَبالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ عُضْوًا فِي هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَعُضْوَ الْمَجْلِسِ التَّأْسِيسِيِّ لِرَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ.

- مُؤَلَّفَاتُهُ:

وَقَدْ تَرَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ مِنْهَا:

١. "أَضْوَاءُ الْبَيَانِ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ".
٢. "دَفْعُ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ".
٣. "مَنْعُ جَوَازِ الْمَجَازِ فِي الْمُنَزَّلِ لِلتَّعَبُّدِ وَالْإِعْجَازِ".
٤. "مُذَكِّرَةُ الْأُصُولِ عَلَى رَوْضَةِ النَّاظِرِ".
٥. "آدَابُ الْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ".

- كَمَا أَنَّ لَهُ عِدَّةَ مُحَاضَرَاتٍ، مِنْهَا:

١. "آيَاتُ الصِّفَاتِ"، **أَوْضَحَ فِيهَا تَحْقِيقَ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي قُمْتُ بِتَفْرِيغِهَا وَنَسْخِهَا.**
٢. "حِكْمَةُ التَّشْرِيعِ".
٣. "الْمُثُلُ الْعُلْيَا".

• وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ كُتُبٍ وَمُحَاضَرَاتٍ.

• وَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّابِعِ عَشر مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٣٩٣ هـ مَرْجِعهُ مِنَ الْحَجِّ، وَصَلَّى عَلَيْهِ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْمَعْلَاةِ.

• وَقَدْ تَرْجَمَ لَهُ تِلْمِيذُهُ الشَّيْخُ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم تَرْجَمَةً حَافِلَةً مُلْحَقَةً بِآخِرِ كِتَابِهِ "أَضْوَاءِ الْبَيَانِ" - الْجُزْءِ الْعَاشِرِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

- أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُوَضِّحَ لَكُمْ مُعْتَقَدَ السَّلَفِ[1]، وَالطَّرِيقَ الَّذِي هُوَ الْمَنْجَى نَحْوَ آيَاتِ الصِّفَاتِ:

---

(١) السَّلَفُ:

من حيث اللغة: تدل على مَن تقدم وسبق بالعلم والإيمان والفضل والإحسان.

قال ابن منظور: "والسلف أيضًا مَن تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل؛ ولهذا سمِّي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح".(٩/ ١٥٩) "لسان العرب".

وفي القاموس (٣/ ١٥٣): السلف من تقدمك من آبائك وقرابتك.

ومِن ذلك قول النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: "فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ" مسلم (٩٨/ ٢٤٥٠).

وأما في الاصطلاح، فهي تختص عند الإطلاق بالصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباعهم على الخير والهدى.

قال القلشاني: السلف الصالح وهو الصدر الأول، الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي ﷺ، الحافظون لسنته، اختارهم اللهُ لصحبة نبيِّه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمَّة وجاهدوا في سبيل اللهِ حق جهاده وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها وبذلوا في مرضاة اللهِ أنفسهم.

قال البيجوري: وهم من كانوا قبل الخمس مِئَة، وقبل القرون الثلاثة: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين.

وقال: والمراد بمَن سَلَفَ مَنْ تقدَّم من الأنبياء، والصحابة، والتابعين، وتابعيهم.

وقد تناقل أهل العلم هذا المصطلح للدّلالة على منهج الصحابة، ومن تبعهم بإحسان؛ كما قال البخاري في صحيحه(٦/ ٦٦). قال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر.

قال الحافظ ابن حجر - مفسرًا كلمة السلف -: أي : مِنَ الصحابة، وَمَنْ بعدهم[1].

وكذا بوَّب البخاري في كتابِ الأطعمة من صحيحه:

باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

وهو يعني بالسلف ما تقدَّم ذكره.

وقال القاضي عياض في "إكمال المُعلم" (٨/ ٥٥٣):

بين السلف اختلاف كبير في كتابة العلم من الصحابة والتابعين.

فحدَّ السلف بالصحابة والتابعين.

أما النووي فقال في "الأذكار" (ص٤٠٠): تَكَنَّى جماعات من أفاضل سلف الأُمَّة من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم بأبي فلانة.

فالحاصل أنَّ: "السلف" إذا أُطْلِقَ أُرِيدَ به الصحابة والتابعون وتابعوهم. وهم القرون المفضلة، التي قال فيها النَّبيُّ ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" أخرجه البخاري (٤/ ١١٨)، وأحمد (١/ ٣٧٨ و٤٤٢)، والترمذي (٣٨٥٩)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فالسلفية ليست جماعةً ولا حزبًا، وإنما هي منهج سار عليه السلف اعتقادًا وأحكامًا ومعاملاتٍ وتزكيةً وتربيةً. والانتساب إلى السلفية وهو انتساب إلى منهج السلف الصالح ايمانًا واعتقادًا وفقهًا وعبادةً وسلوكًا.

قال السمعاني في "الأنساب" (٣/ ٢٧٣):

السَّلَفِيُّ: بفتح السين واللام، وفي آخرها فاء هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم على ما سمعت.

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٦/ ٢١):

السَّلَفِيُّ: بفتحتين، وهو مَن كان على مذهب السَّلَف.

وقد وَصَفَ بها الدارقطني كما في "السير" (١٦/ ٤٥٧)، حيث قال:"لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًا".

(١) وانظر: (٩/ ٥٥٢)، و(١/ ٣٤٢) من "الفتح"، و"الشريعة" (ص٥٨)، ومقدمة مسلم (١٦).

وأهل السُّنَّة والجماعة يُطلق عليهم "السلفيون"؛ لاتباعهم منهج السلف الصالح، الذين هم الصحابة والتابعون وأتباعهم على الخير والهُدى. فإطلاق هذا اللفظ "السلفيين" إذن على أهل السنة والجماعة من كل عصر ومَصْر موافق تمامًا لواقع حالهم وما يقوم عليه مذهبهم من متابعة السلف من الصحابة والتابعين.

وليس من الابتداع أن يتسمَّى أهل السنة بـ"السلفيين"، بل إنَّ مصطلح السلف يساوي تمامًا مصطلح أهل السنة والجماعة، ويدرَك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين في حق الصحابة فَهُمْ السلف، وَهُمْ أهل السنة والجماعة.

ولكن لمَّا كان كل من ينتسب إلى الإسلام من الفرق يقول أنه يتبع الكتاب والسنّة مع ما هم عليه من مخالفات للكتاب والسنة حَسُنَ أن يتميز أهل السنة والجماعة حقًا فكأنهم يقولون: نحن مسلمون على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح. وهو ما يعنيه لفظ "سلفي"؛ ولهذا قال المحققون: إنَّ مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح؛ فكان لا بد من ظهور قواعد واضحة للاتجاه السَّلَفي تميزه عن مُدَّعي الانتساب إلى السلفية.

إذن فعندما نقول: نحن سلفيون. إنما نعني به الانتماء والانتساب إلى خير طائفة وُجدت على الأرض بعد الأنبياء والرسل. وهم صحابة رسول اللهِ ﷺ، ثم التابعون الذين جاءوا في القرن الثاني، ثم أتباع التابعين الذين جاءوا في القرن الثالث؛ فهؤلاء أهل القرون الثلاثة الذين يُطلق عليهم: "السَّلَف" وهم خير أمَّة، والمقصود بالانتماء: الانتماء في العلم والعمل والتمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللهِ ﷺ، والاقتداء بهم، وعلى هذا فمَن أظهر هذه النسبة ألا وهي: التسمية بالسلفي، لا عيب عليه بحال؛ لأنه انتساب محمود إلى منهج سديد قائم على سلامة العقيدة والمنهج على ما كان عليه رسول اللهِ ﷺ وأصحابه قبل الاختلاف والتفرق.

قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (٤/ ١٤٩): ولا عيب على مَن أظهر مذهب السلف، وانتسب واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإنَّ مذهب السلف لا يكون إلا حقًا.

أَوَّلًا:

• اعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الْخَوْضِ وَالتَّعَمُّقِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَكَثْرَةَ الْأَسْئِلَةِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ، هَذَا مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي يَكْرَهُهَا السَّلَفُ.

• اعْلَمُوا أَنَّ مَبْحَثَ **"آيَاتِ الصِّفَاتِ"** دَلَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى أَنَّهُ يَتَرَكَّزُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُسُسٍ، مَنْ جَاءَ بِهَا كُلِّهَا فَقَدْ وَافَقَ الصَّوَابَ، وَكَانَ عَلَى الِاعْتِقَادِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ، وَمَنْ أَخَلَّ بِوَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأُسُسِ الثَّلَاثَةِ؛ فَقَدْ ضَلَّ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأُسُسِ الثَّلَاثَةِ يَدُلُّ عَلَيْهَا[1] قُرْآنٌ عَظِيمٌ.

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "عليه".

الْأُسُسُ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا مَبْحَثُ: "آيَاتِ الصِّفَاتِ"

• أَحَدُ هَذِهِ الْأُسُسِ الثَّلَاثَةِ، الْأَوَّلُ مِنْهَا: هُوَ تَنْزِيهُ اللهِ ﷻ عَنْ أَنْ يُشْبِهَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. وَهَذَا الْأَصْلُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[النحل: ٧٤].

◍ ◍ ◍

• الثَّانِي[١] مِنْ هَذِهِ الأُسُسِ: هُوَ الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ؛ لأَنَّهُ لَا يَصِفُ اللهَ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٤٠]، وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لاَ يَصِفُ اللهَ بَعْدَ اللهِ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي قَالَ فِي حَقِّهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم: ٣، ٤].

◍ ◍ ◍

• فَيَلْزَمُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ:

» يُؤْمِنَ بِمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ.

---

(١) أَمَّا الثَّالِثُ مِنْ هَذِهِ الأُسُسِ؛ فَقَدْ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْمُحَاضَرَةِ وَسَيَأْتِي (ص١٢٢)، وَهُوَ: قَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ إِدْرَاكَ حَقِيقَةِ الْكَيْفِيَّةِ مُسْتَحِيلٌ؛ فَهَذَا نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ (طه)؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ آية ١١٠.

» وَيُنَـزِّهَ رَبَّهُ ﷻ عَـنْ أَنْ تُـشْبِـهَ صِـفَـتُـهُ صِفَـةَ الْخَلْقِ.

◍ ◍ ◍

• فَحَيْثُ أَخَلَّ بِأَحَدِ هَـذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَقَـعَ فِي هُـوَّةِ ضَـلَالٍ؛ لِأَنَّ مَـنْ تَـنَطَّـعَ بَيْـنِ يَـدَيْ رَبِّ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَجَـرَّأَ هَـذِهِ الْجَـرَاءَةَ الْعَـظِـيمَةَ، وَنَـفَى عَـنْ رَبِّـهِ وَصْفًا أَثْبَتَهُ رَبُّهُ لِنَفْسِهِ؛ فَـهَـذَا مَجْنُونٌ!

◍ ◍ ◍

• فَاللهُ ﷻ يُثْبِتُ لِنَفْسِهِ صِفَاتِ كَمَالٍ وَجَلَالٍ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِمِسْكِينٍ جَاهِلٍ أَنْ يَتَـقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَقُولَ: هَذَا الَّذِي وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ لَا يَلِيقُ بِكَ، وَيَلْزَمُهُ مِنَ النَّقْصِ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا؛ فَأَنَا أُؤَوِّلُهُ وَأَنْفِيهِ، وَآتِي بِبَدَلِهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كِتَابٍ وَسُنَّةٍ. سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!

◍ ◍ ◍

• وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ صِفَةَ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ فَهَذَا مَجْنُونٌ جَاهِلٌ، مُلْحِدٌ ضَالٌّ!

◍ ◍ ◍

• وَمَنْ آمَنَ بِصِفَاتِ رَبِّهِ ﷻ مُنَزِّهًا رَبَّهُ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُنَزِّهٌ، سَالِمٌ مِنْ وَرْطَةِ التَّشْبِيهِ(١)، وَالتَّعْطِيلِ(٢).

---

(١) التشبيه: هو مصدر شبَّه يُشَبِّه تشبيهًا، يقال: شَبَّهْتُ الشيء بالشيء، أيْ: مَثَّلْتُهُ بِهِ، وَقِسْتُهُ عَلَيْهِ إما بذاته، أو بصفاته، أو بأفعاله.

قال أهل اللغة: أَشْبَهَ الشيءُ الشيءَ، وشابهه، أي: صار مثله، وهذا الشيء شِبْهُ هذا، وَشَبِيهُهُ، وَمُشْبِهُهُ، وَمُشَابِهُهُ.

وقد ظهر بهذا أنَّ التشبيه بمعنى التمثيل فهما مترادفان. وقد يُفرَّق بينهما بأنَّ التمثيل: التسوية في كل الصفات، والتشبيه: التسوية في أكثر الصفات.

أقسام التشبيه:

١- **تشبيه المخلوق بالخالق**، كتشبيه النصارى عيسى ﷺ باللهِ تعالى، وتشبيه المشركين أصنامهم باللهِ، وهذا النوع هو الذي أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب في النهي عنه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق ومحبط لجميع الأعمال.

٢- **تشبيه الخالق بالمخلوق**، كقول المشبهة: للهِ يدٌ كأيدينا، وسمعٌ كأسماعنا. وهذا الذي صنفت كتب التوحيد للردِّ على قائله، وكِلا النوعين كفر.

وراجع "الحجة في بيان المحجة" (١/ ٣٠٦)، و"التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية" (ص٢٥)، و"شرح العقيدة الطحاوية" (١/ ٢٥٩)، و"منهج ابن حجر في العقيدة" (١/ ٢١٣).

☆☆☆

(٢) التعطيل: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج : ٤٥]، أي: أهملها أهلها وتركوا وِرْدَهَا.

أما في الاصطلاح: فهو إنكار ما يجب للهِ تعالى من الأسماء والصفات، وقد يكون هذا الإنكار كليًّا أو جزئيًّا.

أقسام التعطيل:

١- **تعطيل المخلوق من خالقه**، كتعطيل مَن يزعم قِدم هذه المخلوقات، وأنها تتصرف بطبيعتها.

٢- **تعطيل الخالق عن كماله المقدَّس**، بتعطيل أسمائه وصفاته.

٣- **تعطيل معاملته**، بترك عبادته، أو بعبادة غيره معه.

• وَهَذَا التَّحْقِيقُ هُوَ مَضْمُونُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْلِيمٌ عَظِيمٌ، يَحُلُّ جَمِيعَ الْإِشْكَالَاتِ، وَيُجِيبُ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْئِلَةِ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

• وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مِنْ حَيْثُ هُمَا سَمْعٌ وَبَصَرٌ، يَتَّصِفُ بِهِمَا جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ؛ فَكَأَنَّ اللهَ يُشِيرُ لِلْخَلْقِ بِأَنْ يَقُولَ لَا تَنْفُوا عَنِّي صِفَةَ سَمْعِي وَبَصَرِي؛ بِادِّعَاءِ أَنَّ الْحَوَادِثَ تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهٌ، لَا وَكَلَّا؛ بَلْ أَثْبِتُوا لِي صِفَةَ سَمْعِي وَصِفَةَ بَصَرِي، عَلَى أَسَاسِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وقد يكون التعطيل:

١- كليًّا، كتعطيل الجهمية، الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضًا.

٢- أو جزئيًّا، كتعطيل الأشعرية، الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض.

فالتعطيل: جحد الصفات سواء منها ما ورد في كتاب اللهِ تعالى، أو في سُنَّة رسول اللهِ ﷺ، ونفيها عن اللهِ تعالى. والمعطِّلون لم يفهموا من أسماء اللهِ وصفاته إلا ما هو لائق بالمخلوق؛ فشرعوا في نفي هذا المفهوم، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، فمثلوا أولًا، وعطَّلوا ثانيًا.

راجع "منهج ابن حجر" (١/ ٢١٥).

• فَاللهُ ﷻ لَهُ صِفَاتٌ لَائِقَةٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ[1]، وَالْمَخْلُوقُونَ لَهُمْ صِفَاتٌ مُنَاسِبَةٌ لِحَالِهِمْ، وَكُلُّ هَذَا حَقٌّ ثَابِتٌ لَا شَكَّ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ صِفَةَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْلَى وَأَكْمَلُ مِنْ أَنْ تُشْبِهَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

• فَمَنْ نَفَى عَنِ اللهِ وَصْفًا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ؛ فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ أَعْلَمَ بِاللهِ مِنَ اللهِ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!

---

(١) جاء في "لسان العرب" (١/ ٤٨٧) مادة جَلَلَ:

جَلَلَ: اللهُ الجليل سبحانه ذو الجلال والإكرام، جلَّ جلال الله، وجلال الله: عظمته، ولا يقال: الجلال إلا لله، والجليل من صفات الله - تقدَّس وتعالى -...، **وفي الحديث**: " **أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ".قيل: عظِّموه. وهو سبحانه وتعالى الجليل الموصوف بنعوت الجلال الحاوي جميعَها، هو الجليل المطلق، وهو راجع إلى كمال الصفات كما أنَّ الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات.

وقال الراغب في "المفردات" (٩٢):

الجلالة: عظم القدر، **والجلال**: التناهي في ذلك، وخُصَّ بوصف الله تعالى؛ فقيل: ذو الجلال والإكرام، ولم يستعمل في غيره، **والجليل**: العظيم القدر.

قال ابن كثير في تفسير سور (الرحمن):

معنى ذو الجلال والإكرام، أي: ذو العظمةِ والكبرياءِ. نقله عن ابن عباس. اهـ.

وصفة الجلال تقتضي الغضبَ والانتقامَ، وأما صفة الإكرام فتقتضي الرأفةَ والرحمةَ.

• وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ صِفَةَ رَبِّهِ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ فَهَذَا مَجْنُونٌ ضَالٌّ مُلْحِدٌ لَا عَقْلَ لَهُ، يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الشعراء: ٩٧-٩٨].

• • •

• فَمَنْ يُسَوِّي رَبَّ الْعَالَمِينَ بِغَيْرِهِ رَجُلٌ[١] مَجْنُونٌ!

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "فهو" بدل "رجل".

أَقْسَامُ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَرَدُّ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ

• ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ - الَّذِينَ خَاضُوا فِي الْكَلَامِ، وَجَاءُوا بِأَدِلَّةٍ يُسَمُّونَهَا: "أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً"، رَكَّبُوهَا فِي أَقْيِسَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ - قَسَمُوا صِفَاتِ اللهِ ﷻ إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ؛ قَالُوا: هُنَاكَ "صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ"، وَ"صِفَةُ مَعْنًى"، وَ"صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ"، وَ"صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ"، وَ"صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ"، وَ"صِفَةٌ جَامِعَةٌ"[1].

---

(١) سيأتي تعريف هذه الصفات في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وأقول: صفات اللهِ تعالى، تنقسم إلى: صفات ثُبُوتِيَّة، وصفات سَلْبِيَّة (= مَنْفِيَّة).

فالثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه: كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك؛ فيجب إثباتها لله حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء: ١٣٦].

فالإيمانُ بالله يتضمَّنُ الإيمانَ بصفاته، والإيمانُ بالكتاب الذي نزَّل على رسوله يتضمَّنُ الإيمانَ بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمانَ بكل ما أخبر عن مُرسِلِهِ ﷻ.

وأما العقل: فلأن الله أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا من غيره؛ فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد.

والصفات السلبية (= المنفية): ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والعجز، والتعب.

- أَمَّا الصِّفَاتُ الإِضَافِيَّةُ، فَقَدْ جَعَلُوهَا أُمُورًا اعْتِبَارِيَّةً، لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ؛ وَسَبَّبُوا بِذَلِكَ إِشْكَالَاتٍ عَظِيمَةً، وَضَلَالًا مُبِينًا.

فيجب نفيها عن الله مع إثبات ضدِّها على الوجه الأكمل؛ لأن النفي المحضَ الذي لا يتضمن صفة ثبوتية، لا يأتي القرآن والحديث به؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال؛ وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون كمالًا؛ ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له كما لو قلت - مشيرًا لجماد -: هذا لا يظلم. وقد يكون للعجز كما لو أشرت إلى جبان، فيكون نقصًا وليس بكمال. ومثال النفي المتضمن لإثبات ضده، قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[الفرقان: ٥٨]. فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[فاطر: ٤٤]. فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته؛ لهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.

ثم إن الصفات الثبوتية تنقسم إلى: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزّة، والحكمة، والعلوّ، والعظمة. ومنها الصفات الخبرية؛ كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام. فالكلام باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولايزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء - كيف شاء -.

راجع (١/ ٨١-٨٢) "هامش العقائد السلفية".

• ثُمَّ إِنَّا نُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى تَقْسِيمِ الْمُتَكَلِّمِينَ، مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ وَصْفِ الْخَالِقِ ﷻ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَوَصْفِ الْمَخْلُوقِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَبَيَانُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِأَنَّ صِفَةَ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَقٌّ، وَأَنَّ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَصِفَةِ الْمَخْلُوقِ؛ فَصِفَةُ الْخَالِقِ لَائِقَةٌ بِذَاتِهِ، وَصِفَةُ الْمَخْلُوقِ مُنَاسِبَةٌ لِعَجْزِهِ وَفَنَائِهِ وَافْتِقَارِهِ، وَبَيْنَ الصِّفَةِ وَالصِّفَةِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، كَمِثْلِ مَا بَيْنَ الذَّاتِ وَالذَّاتِ[1].

• • •

• أَمَّا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يُدْرَسُ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا الْيَوْمَ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ أَغْلَبَهُمْ إِنَّمَا يُثْبِتُونَ مِنَ الصِّفَاتِ - الَّتِي يُسَمُّونَهَا "صِفَاتِ الْمَعَانِي" - سَبْعَ صِفَاتٍ فَقَطْ، وَيُنْكِرُونَ سَائِرَهَا مِنَ الْمَعَانِي.

• • •

(١) إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ فكما أن ذاته ﷻ لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذا صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وإثبات الصفات هو إثباتُ معانٍ لا إثبات كيفية.

• تَعْرِيفُ صِفَةِ الْمَعْنَى عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ:

وَصِفَةُ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ فِي الِاصْطِلَاحِ ضَابِطُهَا:

هِيَ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى وُجُودِيٍّ قَائِمٍ بِالذَّاتِ، وَالَّذِي اعْتَرَفُوا بِهِ مِنْهَا سَبْعُ صِفَاتٍ، هِيَ: الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْحَيَاةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلَامُ. وَنَفَوْا غَيْرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ "صِفَاتِ الْمَعَانِي"[1] الَّتِي سَنُبَيِّنُهَا، وَنُبَيِّنُ أَدِلَّتَهَا بِكِتَابِ[2] اللهِ.

●●●

• إِنْكَارُ الْمُعْتَزِلَةِ لِصِفَاتِ الْمَعَانِي:

وَأَنْكَرَ هَذِهِ الْمَعَانِيَ السَّبْعَةَ "الْمُعْتَزِلَةُ"، وَأَثْبَتُوا أَحْكَامَهَا؛ فَقَالُوا:

"هُوَ قَادِرٌ بِذَاتِهِ، سَمِيعٌ بِذَاتِهِ، عَلِيمٌ بِذَاتِهِ، حَيٌّ بِذَاتِهِ،...".

وَلَمْ يُثْبِتُوا قُدْرَةً، وَلَا عِلْمًا، وَلَا حَيَاةً، وَلَا سَمْعًا، وَلَا بَصَرًا،

---

(١) إضافة الصفات إلى المعاني إضافة بيانية، أي: صفات هي المعاني، والمعاني جمع معنى، وهو لغةً ما قابل الذات، واصطلاحًا: كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكمًا؛ ككونه قادرًا، وكونه مريدًا، فإنهما لازمان للقدرة والإرادة، وصفات المعاني - لقيامها بالذات - تسمَّى الصفات الذاتية، وهو ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، وهي صفات أزلية. "العقائد السلفية" (١/ ٨٩).

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "من كتاب".

وَهُوَ مَذْهَبٌ "كُلُّ الْعُقَلَاءِ يَعْرِفُونَ ضَلَالَهُ وَتَنَاقُضَهُ"؛ وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِالذَّاتِ عِلْمٌ اسْتَحَالَ أَنْ تَقُولَ: عَالِمَةٌ[1] بِلا عِلْمٍ[2]، وَهُوَ تَنَاقُضٌ وَاضِحٌ بِأَوَائِلِ الْعُقُولِ.

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "هي عالمة".

☆☆☆

(٢) الذي يعمُّ المعتزلة من الاعتقاد، القول بأنَّ اللهَ تعالى قديمٌ، والقِدَمُ أخصُّ وصفِ ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلًا؛ فقالوا: عالم بذاته، قادر بذاته، حيّ بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة، وهي صفات قديمة، ومعانٍ قائمة به.

وبعض المعتزلة قالوا بنفي صفات الباري تعالى؛ من العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، وانتهى نظرهم إلى ردِّ جميع الصفات إلى كونه عالمًا قادرًا، ثم حكموا بأنهما صفتان ذاتيتان، هما اعتباران للذات القديمة أو حالان. وقال بعضهم: هو عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته، حيٌّ بحياة وحياته ذاته.

والفرق بين قول القائل: عالم بذاته لا بعلم، وبين قول القائل: عالم بعلم هو ذاته، أنَّ الأول نفي الصفة، والثاني إثبات ذات هو بعينه صفة، أو إثبات صفة هي بعينها ذات.

وهذا تناقضٌ؛ إذ معنى ذلك أنَّ الله هو العلم، وعلم الله هو الله، حتى إنه قيل لقائل هذه المقالة: إذا قلتَ: إن علم الله هو الله؛ فقل: إن الله تعالى عِلْمٌ، نَاقَضَ، ولم يقل: إنه علم، مع قوله: إنَّ علم الله هو الله.

كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صِفَاتِ الْمَعَانِي عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ

فَإِذَا عَرَفْتُمْ هَذَا؛ فَنَتَكَلَّمُ[١] عَلَى "صِفَاتِ الْمَعَانِي"[٢] الَّتِي أَقَرُّوا بِهَا، فَنَقُولُ:

- وَصَفُوا اللهَ بِـ"الْقُدْرَةِ"، وَأَثْبَتُوا لَهُ الْقُدْرَةَ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ وَنَحْنُ نَقْطَعُ بِأَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا مُتَّصِفٌ بِصِفَةِ الْقُدْرَةِ، عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ.

كَذَلِكَ وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْقُدْرَةِ"، قَالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٣٤]؛ فَأَسْنَدَ الْقُدْرَةَ لِبَعْضِ الْحَوَادِثِ،

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "فسنتكلم".

☆☆☆

(٢) اعترف الأشاعرة ومَن تبعهم بسبع صفات، سَمَّوها "صفات المعاني"، واشْتَقُّوا من كل صفة اسمًا، فاشْتَقُّوا من الحياة الحي، ومن القدرة القدير، ومن العلم العليم، ومن الكلام المتكلم، ومن السمع السميع، ومن الإرادة المريد، ومن البصر البصير، وأثبتوها لله، وسَمَّوْها صفات معنوية، ومرادهم بالصفات المعنوية: أنها منسوبة إلى صفات المعاني، ومشتقة منها؛ فالاتصاف بها فرع عن الاتصاف بصفات المعاني السبع التي أثبتوها؛ لأن اتصاف محل من المحالِّ بكونه عالمًا، أو قادرًا، أو حيًّا مثلًا لا يصح إلا إذا قام به العلم، أو القدرة، أو الحياة.

والمعتزلة أقرَّت بالصفات المعنوية، وأنكرت صفات المعاني؛ فقالوا: قدير بلا قدرة... - كما سبق -. (١/ ١٠٤) "العقائد السلفية" - بتصرف -.

وَنَسَبَهَا إِلَيْهِمْ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ حَقٌّ، وَأَنَّ لِلْخَالِقِ ﷻ قُدْرَةً حَقِيقِيَّةً، تَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ قُدْرَةً حَقِيقِيَّةً، مُنَاسِبَةً لِحَالِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ، وَبَيْنَ قُدْرَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُنَافَاةِ وَالْمُخَالَفَةِ كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَحَسْبُكَ بَوْنًا بِذَلِكَ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"السَّمْعِ" وَ"الْبَصَرِ" فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[الحج: ٧٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْحَوَادِثِ بِـ"السَّمْعِ" وَ"الْبَصَرِ"، قَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾[الإنسان: ٢]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[مريم: ٣٨].

وَنَحْنُ لَا نَشُكُّ أَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ حَقٌّ؛ فَلِلَّهِ ﷻ سَمْعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقِيَّانِ لَائِقَانِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ سَمْعًا وَبَصَرًا حَقِيقِيَّيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِحَالِهِ مِنْ فَقْرِهِ وَفَنَائِهِ وَعَجْزِهِ.

وَبَيْنَ سَمْعِ وَبَصَرِ الْخَالِقِ وَسَمْعِ وَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

● ● ●

• وَصَفَ ﷻ نَفْسَهُ بِـ"الْحَيَاةِ"، قَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر: ٦٥]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ أَيْضًا بِـ"الْحَيَاةِ"، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[مريم: ١٥]، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[الروم: ١٩].

وَنَحْنُ نَقْطَعُ بِأَنَّ لِلَّهِ ﷻ صِفَةَ حَيَاةٍ حَقِيقِيَّةً، لَائِقَةً بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ حَيَاةً مُنَاسِبَةً لِحَالِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ، وَبَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ؛ وَذَلِكَ بَوْنٌ شَاسِعٌ بَيْنَ الْخَالِقِ وَخَلْقِهِ.

● ● ●

• وَصَفَ ﷻ نَفْسَهُ بِـ"الْإِرَادَةِ"، قَالَ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج: ١٦]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس: ٨٢].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْإِرَادَةِ"، قَالَ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٨].

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلَّهِ إِرَادَةً حَقِيقِيَّةً لَائِقَةً بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ إِرَادَةً مُنَاسِبَةً لِحَالِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ، وَبَيْنَ إِرَادَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"الْعِلْمِ"، قَالَ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)﴾ [الأعراف: ٧].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْعِلْمِ"، قَالَ: وَبَشَّرْنَاهُ ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] (*)، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

(*) هكذا قرأها الشيخ رحمه الله، ولعله انتقل ذهنه إلى الآية الأخرى من سورة (الصافات): ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ (آية: ١٠١)، أما هذه الآية من سورة (الذاريات): ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ وهي التي تدل على ما أراده الشيخ رحمه الله تعالى.

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلْخَالِقِ ﷻ عِلْمًا حَقِيقِيًّا، لَائِقًا بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، مُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ عِلْمًا مُنَاسِبًا لِحَالِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ،وَبَيْنَ عِلْمِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُنَافَاةِ وَالْمُخَالَفَةِ كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

• • •

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"الْكَلَامِ"، قَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْكَلَامِ"، قَالَ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾[يوسف: ٥٤]، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾[يس: ٦٥].

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلْخَالِقِ ﷻ كَلَامًا حَقِيقِيًّا، لَائِقًا بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ كَلَامًا مُنَاسِبًا لِحَالِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ، وَبَيْنَ كَلَامِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، كَمِثْلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

• • •

» هَـذِهِ "صِـفَـاتُ الْـمَـعَـانِي"[١]، نَـظَـرْتُـمْ مَـا فِـي الْـقُـرْآنِ مِـنْ وَصْـفِ الْـخَـالِـقِ بِـهَـا، وَوَصْـفِ الْـمَـخْـلُـوقِ، وَلَايَـخْـفَـى عَـلَـى عَـاقِـلٍ:

* أَنَّ صِـفَـاتِ الْـخَـالِـقِ حَـقٌّ.
* وَأَنَّ صِـفَـاتِ الْـمَـخْـلُـوقِـينَ حَـقٌّ.
* وَأَنَّ صِـفَـاتِ الْـخَـالِـقِ لَائِـقَـةٌ بِـجَـلَالِـهِ وَكَـمَـالِـهِ.
* وَصِـفَـاتِ الْـمَـخْـلُـوقِـينَ مُـنَـاسِـبَـةٌ لِـحَـالِـهِـمْ.
* وَبَـيْـنَ الـصِّـفَـةِ وَالـصِّـفَـةِ كَـمَـا بَـيْـنَ الـذَّاتِ وَالـذَّاتِ.



(١) يعني: عند المتكلمين.

كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى "الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ"(*) عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ

» هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي يُسَمُّونَهَا: "سَلْبِيَّةً".

• وَضَابِطُ "الصِّفَةِ السَّلْبِيَّةِ" عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ: هِيَ الصِّفَةُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى عَدَمٍ مَحْضٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا: أَنْ تَدُلَّ عَلَى سَلْبِ مَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ عَنِ اللهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدُلَّ عَلَى مَعْنًى وُجُودِيٍّ زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ.

● ● ●

• وَالَّذِينَ قَالُوا هَذَا؛ جَعَلُوا "الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةَ" عِنْدَهُمْ خَمْسًا(1) لا سَادِسَةَ لَهَا، هِيَ عِنْدَهُمْ:

۞ "الْقِدَمُ".

۞ وَ"الْبَقَاءُ".

۞ وَ"الْمُخَالَفَةُ لِلْخَلْقِ".

(*) معنى الصفة السلبية، سبق (ص ٤٩-٥٠).

☆☆☆

(١) قال: خَمْس، ثم قال: خَمْسًا ....

۞ وَ"الْوَحْدَانِيَّةُ".

۞ وَ"الْغِنَى الْمُطْلَقُ" الَّذِي يُسَمُّونَهُ: "الْقِيَامَ بِالنَّفْسِ"، الَّذِي يَعْنُونَ بِهِ الِاسْتِغْنَاءَ[1] عَنِ الْمُخَصِّصِ وَالْمَحَلِّ.

• • •

• إِذَا عَرَفْتُمْ هَذَا؛ فَاعْلَمُوا أَنَّ: "الْقِدَمَ"، وَ"الْبَقَاءَ"، اللَّذَيْنِ وَصَفَ الْمُتَكَلِّمُونَ بِهِمَا اللهَ ﷻ، زَاعِمِينَ أَنَّهُ وَصَفَ بِهِمَا نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "به عن".

تَعْرِيفُ الْقِدَمِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ

• وَالْقِدَمُ فِي الِاصْطِلَاحِ عِنْدَهُمْ: عِبَارَةٌ عَنْ سَلْبِ الْعَدَمِ الْأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَهُمْ أَخَصُّ مِنَ الْأَزَلِ؛ لِأَنَّ الْأَزَلَ: عِبَارَةٌ عَمَّا لَا افْتِتَاحَ لَهُ، سَوَاءً كَانَ وُجُودِيًّا، أَوْ عَدَمًا.

• وَالْقِدَمُ عِنْدَهُمْ: عِبَارَةٌ عَمَّا لَا أَوَّلَ لَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ وُجُودِيًّا، كَذَاتِ اللهِ الْمُتَّصِفَةِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ.

• وَنَحْنُ الْآنَ نَتَكَلَّمُ عَلَى مَا وَصَفُوا بِهِ اللهَ ﷻ مِنَ "الْقِدَمِ"، "وَالْبَقَاءِ"، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ كَرِهَ وَصْفَهُ ﷻ بِالْقِدَمِ؛ لِمَا يَأْتِي.

◍ ◍ ◍

• فَاللهُ ﷻ وَصَفَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْقِدَمِ"، قَالَ: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥]، ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الشعراء: ٧٦].

• وَوَصَفَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْبَقَاءِ"، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧]، ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

◍ ◍ ◍

• أَمَّا اللهُ[١] ﷻ فَلَمْ يَصِفْ فِي كِتَابِهِ نَفْسَهُ بِـ"الْقِدَمِ"، وَبَعْضُ السَّلَفِ كَرِهَ وَصْفَهُ بِـ"الْقِدَمِ"؛ لِتَشْبِيهِهِ بِـ"الْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"، ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥]، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الشعراء: ٧٦]، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ حَدِيثٌ[٢]، بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: هُوَ يَدُلُّ عَلَى وَصْفِهِ بِهَذَا، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لَمْ يَثْبُتْ.

---

(١) قال الشيخ في هذا الموضع: "ولا شكَّ أنَّ ما وُصِفَ به الله من هذه الصفات"، ثم إنه نُبِّهَ؛ فقال: "أمَّا الله...".

☆☆☆

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ، قال: "إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ".

وهو حديث صحيح دون سرد الأسماء. رواه عن أبي هريرة ﵁ جماعة.

١ - الأعرج عبد الرحمن بن هرمز.

وقد رواه عن الأعرج:

(١) أبو الزناد عبد الله بن ذكوان. (٢) موسى بن عقبة.

أما رواية أبي الزناد فقد رواها عنه جمع:

سفيان بن عيينة عند البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٤)، وأبي نعيم في جزئه رقم (٧-٨)، ومالك بن أنس عند النسائي في "الكبرى" (٧٦٥٩)، وابن خزيمة كما في "الفتح" شرح الحديث (٦٤١٠)، والطبراني في "الدعاء" رقم (١٠٦)، وابن منده في "التوحيد" رقم (١-١٥٤)، والدارقطني في "غرائب مالك"، وقال: صحيح عن مالك "الفتح/ ٦٤١٠"، وأبي نعيم في جزئه رقم (٣) مقرونًا مع ابن أبي الزناد.

وعبد الرحمن بن أبي الزناد عند الطبراني في "الدعاء" رقم (١٠٧)، والدارقطني كما في "الفتح" حديث (٦٤١٠)، وأبي نعيم رقم (٣و٦).

ومحمد بن إسحاق عند أحمد في "المسند" (٢/ ٢٥٨)، ومن طريقه الطبراني في "الدعاء" رقم (١٠٩)، وأبي نعيم رقم (٥).

وورقاء بن عمر عند ابن منده في "التوحيد" (٢-١٥٥)، وأبي نعيم رقم (٧٠).

ومحمد بن عجلان عند أبي عوانة كما في "الفتح" حديث (٦٤١٠).

وعبد الرحمن بن إسحاق عند أبي نعيم رقم (١٤).

- وشعيب بن أبي حمزة

واختلف عليه.

فرواه أبو اليمان - الحكم بن نافع - عند البخاري (٢٧٣٦) و(٧٣٩٢)، والطبراني في "الدعاء" (١١٠)، وأبي نعيم رقم (١٢).

وعلي بن عياش عند النسائي في "الكبرى" في النعوت كما في "تحفة الأشراف".

وبشر بن شعيب عند البيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٥).

ثلاثتهم عن شعيب عن أبي الزناد به دون سرد الأسماء، وخالفهم الوليد بن مسلم فرواه عن شعيب به، فسرد الأسماء.

أخرجه الترمذي (٣٥٠٧) وقال: هذا حديث غريب. وابن حبان في صحيحه (٧٠٨)، والبغوي في "شرح السُّنَّة" (٥/ ٣٢-٣٣)، وابن خزيمة كما في "التلخيص الحبير" (٤/ ٤٢٢) رقم (٢٠٥٦)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٦١)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٠/ ٢٧)، وفي "شعب الإيمان" (١/ ٢٧٨)، و"الاعتقاد" (ص٥٠)، والطبراني في "الدعاء"(*) رقم (١١١)، كلهم من طريق صفوان بن صالح عن الوليد به.

قال الترمذي: وهذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث. وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه

(*) وأبو نعيم في جزئه رقم (١٣)، وابن حبان (٨٠٨) إحسان.

عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

قلت: صفوان بن صالح قال الحافظ في "التقريب": ثقة، وكان يدلس تدلس التسوية قاله أبو زرعة.

لكن لم ينفرد به صفوان؛ فقد تابعه موسى بن أيوب النصيبي عند الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٦)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٦)، فرواه عن الوليد به، فسرد الأسماء.

وموسى بن أيوب وثَّقه العجلي، وقال أبو حاتم: صدوق.

قال الحافظ في "التقريب": صدوق، أما الوليد بن مسلم الذي عليه مدار هذه الرواية فقال الحافظ في "التقريب": ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية.

(٢) موسى بن عقبة:

ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

لكن اختلف على موسى.

فرواه حفص بن ميسرة عن موسى به، فذكر الحديث دون سرد الأسماء. رواه أبو نعيم في جزئه لطرق هذا الحديث رقم (١٥) وقال: إسناده حسن.

وحفص قال الحافظ في "التقريب": ثقة ربما وهم.

وخالفه زهير بن محمد، فرواه عن موسى، فسرد الأسماء. وقد رواه عن زهير ثلاثة: عبد الملك بن محمد عند ابن ماجه (٣٨٦١)، وأبي نعيم في جزئه رقم (٢٠)، والوليد بن مسلم كما في جزء أبي نعيم رقم (١٨) عن زهير بن محمد عن موسى بن عقبة فسردا الأسماء.

وخالفهم عمر بن أبي سلمة عند أبي نعيم في جزئه رقم (١٧و١٩). فرواه عن زهير به فلم يذكر الأسماء.

قلت: زهير بن محمد التميمي قال الحافظ في "التقريب": ثقة إلا أنَّ رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة؛ فضعِّف بسببها.

وقال أبو حاتم: حدَّث بالشام من حفظه؛ فكثر غلطه.

وقد روى الحديث عن أبي هريرة غير الأعرج.

فرواه محمد بن سيرين عن أبي هريرة به دون سرد الأسماء. أخرجه مسلم (٢٦٧٧)، وأحمد في "المسند" (٢/ ٤٩٩)(*)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٣). ثلاثتهم من طريق معمر عن أيوب عن ابن سيرين به.

وخالف عبد العزيز بن الحصين معمرًا؛ فرواه عن أيوب، وزاد (وهشام بن حسان) عن ابن سيرين به، وزاد سرد الأسماء. أخرجه أبو نعيم في جزئه رقم (٥٢).

وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٧)، والطبراني في "الدعاء" رقم (١١٢)، وجعفر الفريابي في "الذكر" كما في "الفتح" حديث (٦٤١٠). كلهم من طريق عبد العزيز عن أيوب وهشام - إلا عند الطبراني فلم يذكر (وهشام) - عن ابن سيرين به، وسرد الأسماء. قال الحاكم: عبد العزيز ثقة.

ورده الحافظ في "التلخيص" (٤/ ١٧٣)؛ فقال: بل متفق على ضعفه، وهّاه البخاري ومسلم وابن معين، وقال البيهقي: ضعيف عند أهل النقل.

وقد توبع أيوب، تابعه قتادة فرواه عن محمد بن سيرين به، فلم يسرد الأسماء.

أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في "النقض على المريسي" رقم (١٧)، وابن عدي في "الكامل" ترجمة خليد بن دعلج (٣/ ٤٨٩)، وأبو نعيم في جزئه لهذا الحديث رقم (٢٧)، والطبراني في "الدعاء" رقم (٩٦) جميعًا من طريق خليد بن دعلج عن قتادة به.

وخليد: ضعيف. قال أبو حاتم: صالح، ليس بالمتين في الحديث، حدَّث عن قتادة أحاديث منكرة، وقال ابن عدي: عامة حديثه تابعه عليه غيره، وفي حديثه بعض إنكار، وليس بالمنكر الحديث جدًا.

قلت: وهو قد توبع على هذا الحديث، تابعه شيبان بن عبد الرحمن وسعيد بن أبي عروبة، أما متابعة شيبان فأخرجها الطبراني في "الدعاء" رقم (٩٥)، وأبو نعيم في جزئه رقم (٢٦)،

(*) وفي (٢/ ٥١٦ و٢٦٧ و٤٢٧).

وشيبان ثقة صاحب كتاب كما في "التقريب". وأما متابعة سعيد بن أبي عروبة فأخرجها الطبراني في "الدعاء" رقم (٩٧)، وعنه أبو نعيم في جزئه رقم (٢٩). وسعيد قال الحافظ في "التقريب": ثقة حافظ له تصانيف، لكنه كثير التدليس، واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة. وبهذا تصح متابعة قتادة لأيوب دون سرد الأسماء، وثَمَّ متابعات لهما عن ابن سيرين ذكرها الطبراني في "الدعاء" (٩٨-١٠٦).

ورواه همام بن منبه، أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٧٧)، وأحمد في "المسند" (٢/ ٢٦٧،٣١٤) والبيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٣) من طريق معمر عن أيوب عن همام به، دون سرد الأسماء.

ورواه أبو سلمة بن عبد الرحمن كما عند أحمد (٢/ ٥٠٣)، وابن ماجه (٣٨٦٠) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة به، دون سرد الأسماء، وسنده حسن لكلام يسير في محمد بن عمرو.

وخلاصة القول: أن الحديث صحيح ثابت دون سرد الأسماء.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان إخراج حديث الوليد في الصحيح.

قال ابن حزم: جاء في إحصائها أحاديث مضطربة، لا يصح منها شيء أصلًا.

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٣/ ٢٠٨): لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره، غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب. وفي إسناد ابن ماجه ضعف؛ لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني. اهـ.

قلت: وقول البوصيري: أصح شيء في الباب، لا يعني أنه صحيح، وإنما عنى أنه أحسن حالا من غيره، وقد سبق قول الترمذي: وهذا حديث غريب...إلى آخر كلامه.

قال ابن تيمية في "الفتاوى" (٦/ ٣٨٢): "تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل العلم"، وقال في (٦/ ٣٧٩): "إنَّ الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه."

وقال ابن كثير- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]- والذي عوَّل عليه جماعة من الحُفَّاظ أن سرد الأسماء مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد، أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن، كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

قال البغوي: يحتمل أن يكون ذكر هذه الأسامي من بعض الرواة.

قال الحافظ ابن حجر (١١/ ٢٥١): واختلف العلماء في سرد الأسماء، هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة؛ فمشى كثير منهم على الأول. قال: وذهب آخرون إلى أنَّ التعيين مدرج لخلوِّ أكثر الروايات عنه. ثم ذكر قول الحاكم بعد أن أخرج الحديث من طريق الوليد بن مسلم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بسياق الأسماء الحسنى؛ والعلة فيه عندهما تفرد الوليد بن مسلم، ثم ذكر توثيق الوليد بن مسلم. قال الحافظ متعقبًا: وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج. اهـ.

قلت: ولمزيد في هذا الحديث راجع جزءًا في تخريجه للحافظ ابن حجر، وآخر لأبي نعيم، و"التلخيص الحبير" (٤/ ١٧٢-١٧٥)، و"الفتح" (١١/ ٢٥٠).

• أَمَّا "الْأَوَّلِيَّةُ" وَ"الْآخِرِيَّةُ"، الَّتِي نَصَّ اللهُ عَلَيْهِمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[(1)] [الحديد: ٣]، فَقَدْ وَصَفَ الْمَخْلُوقِينَ أَيْضًا بِـ"الْأَوَّلِيَّةِ" وَ"الْآخِرِيَّةِ"، قَالَ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ [المرسلات: ١٦-١٧]، وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلَّهِ أَوَّلِيَّةً وَآخِرِيَّةً، لائِقَتَانِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ أَوَّلِيَّةً وَآخِرِيَّةً، مُنَاسِبَةً لِحَالِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ "وَاحِدٌ"، قَالَ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِذَلِكَ، قَالَ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد: ٤].

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الْغِنَى"، "إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ": ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْغِنَى"، قَالَ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

---

(١) وقد قال النبيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ" الحديث أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣-٦١).

۞ فَهَذِهِ هِيَ[١] "صِفَاتُ السَّلْبِ"، جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ بِهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ الْخَالِقُ مِنْهَا، لَائِقٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ، مُنَاسِبٌ لِحَالِهِ وَعَجْزِهِ وَفَنَائِهِ وَافْتِقَارِهِ.



(١) في طبعة عالم الفوائد: "فهذه صفات...".

رَدُّ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلى الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَّهُمُ الصِّفاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ سَبْعًا فَقَطْ

ثُمَّ نَذْهَبُ إِلَى الصِّفَاتِ السَّبْعِ، الَّتِي يُسَمُّونَهَا "الْمَعْنَوِيَّةَ".

- وَالتَّحْقِيقُ:

أَنَّ عَدَّ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الْمَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي هِيَ كَوْنُهُ تَعَالَى "قَادِرًا" وَ"مُرِيدًا" وَ"عَالِمًا" وَ"حَيًّا" وَ"سَمِيعًا" وَ"بَصِيرًا" وَ"مُتَكَلِّمًا"، أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ كَيْفِيَّةُ الاِتِّصَافِ بِالْمَعَانِي السَّبْعِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَمَنْ عَدَّهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدُّوهَا بِنَاءً عَلَى وُجُودِ مَا يُسَمُّونَهُ الْحَالَ الْمَعْنَوِيَّةَ، الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا وَاسِطَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ، لَا مَعْدُومَةٌ، وَلَا مَوْجُودَةٌ.

● ● ●

- وَالتَّحْقِيقُ:

أَنَّ هَذِهِ خُرَافَةٌ وَخَيَالٌ. وَأَنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ لَا يَجْعَلُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَنَقِيضِهِ وَاسِطَةً الْبَتَّةَ؛ فَكُلُّ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فَهُوَ مَعْدُومٌ قَطْعًا، وَكُلُّ مَا لَيْسَ بِمَعْدُومٍ؛ فَهُوَ مَوْجُودٌ قَطْعًا، وَلَا وَاسِطَةَ الْبَتَّةَ - كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ -.

● ● ●

فَإِذَنْ قَدْ مَثَّلْنَا لِكَوْنِهِ: "قَادِرًا"، وَ"حَيًّا"، وَ"مُرِيدًا"، وَ"سَمِيعًا"، وَ"بَصِيرًا"، وَ"مُتَكَلِّمًا"، لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَصْفِ الْخَالِقِ بِذَلِكَ، وَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَصْفِ الْمَخْلُوقِ بِذَلِكَ، وَبَيَّنَّا أَنَّ صِفَةَ الْخَالِقِ لَائِقَةٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ مُنَاسِبَةٌ لِحَالِهِ وَفَنَائِهِ وَعَجْزِهِ وَافْتِقَارِهِ.

فَلَا دَاعِيَ لِأَنْ نَنْفِيَ وَصْفَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْهُ؛ لِئَلَّا نُشَبِّهَهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ نُقِرَّ بِوَصْفِ اللهِ وَنُؤْمِنَ بِهِ فِي حَالِ كَوْنِنَا مُنَزِّهِينَ لَهُ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ.



كَلامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى صِفَاتِ الأَفْعَالِ

هَـذِهِ "صِفَاتُ الأَفْعَالِ"(١)، جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِكَثْرَةٍ وَصْفُ الْخَالِقِ بِهَا وَوَصْفُ الْمَخْلُوقِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ الْخَالِقُ مِنْهَا مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ؛ كَالْمُخَالَفَةِ الَّتِي بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَذَاتِ الْمَخْلُوقِ، مِنْ ذَلِكَ:

- **أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"صِفَةِ الْفِعْلِ"، الَّتِي هِيَ أَنَّهُ "يَرْزُقُ الْخَلْقَ"**، قَالَ ﷻ: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة: ١١].

---

(١) صفة الفعل: هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى وإرادته سواء أكان هذا الفعل لازمًا: كالمجيء، والنزول، أم كان متعديًا: كالقبض، والطي، كما في الحديث: "**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**".
وصفة الفعل صفة اختيارية؛ لأنها تقع باختيار الله تعالى، وإرادته، ومشيئته. وأهل السنة: يثبتون صفات الفعل لله ﷻ على الوجه اللائق به، أما الأشاعرة: فأرجَعوا صفاتِ الفعل إلى الإرادة؛ فقالوا في المحبة والرضى: إرادة الثواب، وفي الغضب والسخط: إرادة العقاب، والمعتزلة أرجَعوا صفاتِ الفعلِ إلى نَفْس الثواب والعقاب.

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"صِفَةِ الرِّزْقِ"، قَالَ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]، ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [النساء: ٥]، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْهُ الْمَخْلُوقُ، كَمُخَالَفَةِ ذَاتِ اللهِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِصِفَةِ الْفِعْلِ، الَّذِي هُوَ "الْعَمَلُ"، قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ [يس: ٧١].

وَصَفَ الْمَخْلُوقِينَ بِصِفَةِ الْفِعْلِ، الَّتِي هِيَ "الْعَمَلُ"، قَالَ: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ، مُخَالِفٌ لَهُ كَمُخَالَفَةِ ذَاتِ الْخَالِقِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ "يُعَلِّمُ خَلْقَهُ": ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق: ٣-٥]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِصِفَةِ الْفِعْلِ، الَّتِي هِيَ "التَّعْلِيمُ" أَيْضًا، قَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[الجمعة: ٢]، وَجَمَعَ الْمِثَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[المائدة: ٤].

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِأَنَّهُ يُنَبِّئُ، وَوَصَفَ الْمَخْلُوقَ بِأَنَّهُ يُنَبِّئُ، وَجَمَعَ بَيْنَ صِفَةِ الْفِعْلِ فِي الْأَمْرَيْنِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾[التحريم: ٣]، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْهُ الْعَبْدُ؛ كَمُخَالَفَةِ ذَاتِ الْخَالِقِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَةِ الْفِعْلِ، الَّذِي هُوَ "الْإِيتَاءُ"، قَالَ ﷻ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦٩]، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[هود: ٣].

وَصَفَ الْمَخْلُوقِينَ بِالْفِعْلِ، الَّذِي هُوَ"الْإِيتَاءُ"، قَالَ: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[النساء: ٢٠]، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[النساء: ٤].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، كَمُخَالَفَةِ ذَاتِهِ لِذَاتِهِ.

كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصِّفَاتِ الْجَامِعَةِ

ثُمَّ نَتَكَلَّمُ عَلَى "الصِّفَاتِ الْجَامِعَةِ"(١): كَـ"الْعُلُوِّ"، وَ"الْعِظَمِ"، وَ"الْكِبَرِ"، وَ"الْمُلْكِ"، وَ"التَّكَبُّرِ"، وَ"الْجَبَرُوتِ" وَ"الْعِزَّةِ"، وَ"الْقُوَّةِ"، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَامِعَةِ.

● ● ●

• فَنَجِدُ اللهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الْعُلُوِّ"، وَ"الْكِبَرِ"، وَ"الْعِظَمِ":

قَالَ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِـ"الْعُلُوِّ"، وَ"الْعِظَمِ": ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِـ"الْعُلُوِّ"، وَ"الْكِبَرِ": ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٩].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْعِظَمِ"، قَالَ: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْعُلُوِّ"، قَالَ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا

---

(١) معنى الصفة الجامعة: هي التي تستلزم جميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها؛ فإثباتها يستلزم إثباتَ كلِّ كمال ونفي كل نقص، والله أعلم.

عليًا ﴿٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَامِعَةِ: كَـ"الْعُلُوِّ"، وَ"الْكِبَرِ"، وَ"الْعِظَمِ"، مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ، كَمُخَالَفَةِ ذَاتِ الْخَالِقِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، كَمَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

● ● ●

- وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الْمُلْكِ"، قَالَ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [الجمعة: ١]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْمُلْكِ"، قَالَ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلَّهِ ﷻ مُلْكًا حَقِيقِيًّا لَائِقًا بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِينَ مُلْكًا مُنَاسِبًا لِحَالِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ "جَبَّارٌ مُتَكَبِّرٌ"، قَالَ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾(*) [الحشر: ٢٣].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَنَّهُ "جَبَّارٌ مُتَكَبِّرٌ"، قَالَ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠]، ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٥].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ الْخَالِقُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ كَمُنَافَاةِ ذَاتِ الْخَالِقِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

◍ ◍ ◍

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"الْعِزَّةِ"، قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [ص: ٩].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْعِزَّةِ"، وَ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ

(*) هكذا قرأها الشيخ رحمه الله، والآية: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ من سورة (الحشر).

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾(*) [يوسف: ٥١]، ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، وَجَمَعَ بَيْنَ(١) الْمِثَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ؛ كَمُخَالَفَةِ ذَاتِ الْخَالِقِ لِذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ ﷻ بِـ"الْقُوَّةِ"، قَالَ: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْقُوَّةِ": ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وَفِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]. وَجَمَعَ بَيْنَ الْمِثَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥﴾ [فصلت: ١٥].

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "وجمع المثالين".

(*) قرأها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالواو، وهي بغير واو: ﴿قَالَتِ﴾.

كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصِّفَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْمُتَكَلِّمُونَ

ثُمَّ إِنَّا نَتَكَلَّمُ عَلَى الصِّفَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْمُتَكَلِّمُونَ، هَلْ هِيَ صِفَاتُ فِعْلٍ، أَوْ صِفَاتُ مَعْنًى؟(١)

وَالتَّحْقِيقُ:

أَنَّهَا صِفَاتُ مَعَانٍ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ جل وعلا، كَـ"الرَّأْفَةِ" وَ"الرَّحْمَةِ" وَ"الْحِلْمِ".

- فَنَجِدُهُ جل وعلا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ "رَءُوفٌ رَحِيمٌ"، قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[النحل: ٧].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِذَلِكَ، قَالَ فِي نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ(٢): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾[التوبة: ١٢٨].

● ● ●

---

(١) قد تكون الصفة: صفة معنى؛ باعتبار تعلقها بالله عز وجل، وقد تكون في نفس الوقت صفة فعل؛ باعتبار أنها متعلقة بالمخلوق، فصفة الرحمة صفة معنى: باعتبار تعلقها بالله تعالى، وهي صفة فعل: باعتبار أنها واصلة إلى العباد.

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "قال في نبينا صلى الله عليه وسلم".

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الْحِلْمِ"، قَالَ: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ [الحج: ٥٩]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْحِلْمِ"، قَالَ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: ١٠١]، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

● ● ●

• وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الْمَغْفِرَةِ"، قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِـ"الْمَغْفِرَةِ"، قَالَ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: ٤٣]، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤].

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ؛ أَنَّهُ حَقٌّ لَائِقٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْفَى خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ الْخَلْقُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ حَقٌّ مُنَاسِبٌ لِحَالِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ:

فَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَنَطَّعَ إِلَى وَصْفٍ أَثْبَتَهُ اللهُ ﷻ لِنَفْسِهِ؛ فَيَنْفِي هَذَا الْوَصْفَ عَنِ اللهِ، مُتَهَجِّمًا عَلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مُدَّعِيًا عَلَيْهِ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ الَّذِي تَمَدَّحَ بِهِ أَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ يَنْفِيهِ عَنْهُ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَمَالِ مِنْ كِيسِهِ الْخَاصِّ، فَهَذَا جُنُونٌ وَهَوَسٌ!، وَلَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللهُ بَصَائِرَهُمْ.

كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِثْبَاتِ "صِفَةِ الِاسْتِوَاءِ"

وَسَنَضْرِبُ لَكُمْ لِهَذَا مِثَالًا يَتَبَيَّن بِهِ الْكُلُّ؛ لِأَنَّ مِثَالًا وَاحِدًا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ يَنْسَحِبُ عَلَى الْجَمِيعِ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُوف بِهَا وَاحِدٌ. وَهُوَ ﷻ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْبَتَّةَ.

فَهَذِهِ "صِفَةُ الِاسْتِوَاءِ"، الَّذِي كَثُرَ فِيهَا الْخَوْضُ، وَنَفَاهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِأَقْيِسَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، وَأَدِلَّةٍ جَدَلِيَّةٍ، سَنَتَكَلَّمُ فِي آخِرِ الْبَحْثِ عَلَى وُجُوهِ إِبْطَالِهَا، كَلَامًا يَخُصُّ الَّذِينَ دَرَسُوا الْمَنْطِقَ وَالْجَدَلَ؛ لِيَتَبَيَّنُوا كَيْفَ[1] اسْتَدَلُّوا بِالْبَاطِلِ، وَأَبْطَلُوا بِهِ الْحَقَّ وَأَحَقُّوا بِهِ الْبَاطِلَ.

●●●

هَذِهِ[2] "صِفَةُ الاسْتِوَاءِ"[3].

تَجَرَّأَ الْآلَافُ مِمَّنْ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ وَنَفَوْهَا عَنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) هنا كلمة لم أتبينها لعلها (أنهم)، وفي طبعة عالم الفوائد: "كيف استدل أولئك بالباطل".

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "فهذه".

☆☆☆

(٣) راجع: (ما قاله شيخ الإسلام في "الحموية")، و("العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية" جـ ١/ ١٥٢ وما بعدها).

بِأَدِلَّةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، يُرَكِّبُونَ فِيهَا قِيَاسًا اسْتِثْنَائِيًّا مُرَكَّبًا مِنْ شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ لُزُومِيَّةٍ يَسْتَثْنُونَ فِيهِ نَقِيضَ التَّالِي، يُنْتِجُونَ فِي زَعْمِهِمُ الْبَاطِلِ نَقِيضَ الْمُقَدَّمِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ نَفْيَ اللَّازِمِ يَقْتَضِي بِنَفْيِ الْمَلْزُومِ.

فَيَقُولُونَ مَثَلًا لَوْ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشِهِ - وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ -؛ لَكَانَ مُشَابِهًا لِلْخَلْقِ فِي اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ.

◍ ◍ ◍

أَوَّلًا:

اعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ الَّتِي هِيَ **"صِفَةُ الاسْتِوَاءِ"**، هِيَ صِفَةُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ تَمَدَّحَ بِهَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ **وَالْقَرِينَةُ عَلَى أَنَّهَا صِفَةُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ**: أَنَّ اللهَ مَا ذَكَرَهَا فِي مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ إِلَّا مَصْحُوبَةً بِمَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا.

◍ ◍ ◍

وَسَنَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا لِذَلِكَ بِذِكْرِ الْآيَاتِ:

- **أَوَّلُ سُورَةٍ ذَكَرَ اللهُ فِيهَا "صِفَةَ الِاسْتِوَاءِ": سُورَةُ (الْأَعْرَافِ)**[1]،

---

(١) ورد ذكر صفة الاستواء في القرآن الكريم في سبع مواضع، وقد ذكرها الشيخ مرتَّبةً على حسب ترتيبها في المصحف الشريف.

قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ بَعْضَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟!(*)

•••

• الْمَوْضِعُ الثَّانِي فِي سُورَةِ (يُونُس)، قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾. فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟!

•••

(*) العبارة فيها شيء، ولعله يوضحها العبارة الآتية بعد ذكر الموضع الثاني.

• الْمَوْضِعُ الثَّالِثُ فِي سُورَةِ (الرَّعْدِ) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[1].

وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾. فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟!

---

(١) جاء في "المهذب في القراءات العشر" (ص٣٤٩):

﴿يُسْقَىٰ﴾: قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب بالياء التحتية على التذكير أن يسقى ما ذكر. والباقون بتاء التأنيث مراعاةً للفظ ما تقدَّم، أي: ﴿تُسْقَىٰ﴾ هذه الأشياء.

﴿وَنُفَضِّلُ﴾: قرأ حمزة، والكسائي وخلف العاشر بالياء التحتية، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، والباقون بنون العظمة على الالتفات، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى.

و﴿ٱلْأُكُلِ﴾: قرأ نافع، وابن كثير بسكون الكاف وهو لغة تميم، والباقون بضمِّها وهو لغة الحجازيين.

• الْمَوْضِعُ الرَّابِعُ فِي سُورَةِ (طـه): ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟![1]

● ● ●

• الْمَوْضِعُ الْخَامِسُ فِي سُورَةِ (الْفُرْقَانِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾.

فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟!

● ● ●

• الْمَوْضِعُ السَّادِسُ فِي سُورَةِ (السَّجْدَةِ) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣

(١) في طبعة عالم الفوائد: "من الجلال والكمال".

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

فَهَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا مِنْ غَايَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؟!

◍ ◍ ◍

• الْمَوْضِعُ السَّابِعُ فِي سُورَةِ (الْحَدِيدِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

◍ ◍ ◍

فَالشَّاهِدُ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَظُنُّ الْجَاهِلُونَ أَنَّهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَيَتَهَجَّمُونَ عَلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ صِفَةَ نَقْصٍ؛ ثُمَّ يُسَبِّبُونَ عَنْ هَذَا أَنْ يَنْفُوهَا وَيُؤَوِّلُوهَا، مَعَ أَنَّ اللهَ ﷻ تَمَدَّحَ بِهَا وَجَعَلَهَا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، مَقْرُونَةً بِمَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؛ هَذَا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِ وَهَوَسِ مَنْ يَنْفِي بَعْضَ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بِالتَّأْوِيلِ.



كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَعَانِي التَّأْوِيلِ

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ:

"التَّأْوِيلُ"(١)، الَّذِي فَتَنَ اللهُ بِهِ الْخَلْقَ وَأَضَلَّ بِهِ الآلافَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

---

(١) قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي "نَقْضِ الْمَنْطِقِ" (ص ٥٦):

"إِنَّ لَفْظَ "التَّأْوِيلِ" قَدْ صَارَ بِسَبَبِ تَعَدُّدِ الاصْطِلَاحَاتِ، لَهُ ثَلَاثُ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا:

أَنْ يُرَادَ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ حَقِيقَةُ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ وَإِنْ وَافَقَ ظَاهِرَهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يُرَادُ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٣]، وَمِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: "سُبْحَانَكَ اللهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ(*).

❁ ❁ ❁

وَالثَّانِي:

يُرَادُ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ: " التَّفْسِيرُ " وَهُوَ اصْطِلَاحُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ - إِمَامُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ -: إِنَّ "الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ" يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ؛ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ تَفْسِيرَهُ وَبَيَانَ مَعَانِيهِ، وَهَذَا مِمَّا يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ.

❁ ❁ ❁

(*) حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٤٨٤/ ٢١٧)، ولفظه عندهما: "...سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...".

وَالثَّالِثُ:

أَنْ يُرَادَ بِلَفْظِ "التَّأْوِيلِ": صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ لِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ يُوجِبُ ذَلِكَ. وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُخَالِفًا لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَيُبَيِّنُهُ. وَتَسْمِيَةُ هَذَا تَأْوِيلًا لَمْ يَكُنْ فِي عُرْفِ السَّلَفِ، وَإِنَّمَا سَمَّى هَذَا وَحْدَهُ تَأْوِيلًا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ الْخَائِضِينَ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَالْكَلَامِ، وَظَنَّ هَؤُلَاءِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] يُرَادُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ صَارُوا فِي هَذَا التَّأْوِيلِ عَلَى طَرِيقَيْنِ: قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ؛ وَكِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئَةٌ.

فَإِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ - أَوْ أَكْثَرِهَا وَعَامَّتِهَا - مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ جِنْسِ تَأْوِيلَاتِ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ. وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى ذَمِّهِ وَصَاحُوا بِأَهْلِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَرَمَوْا فِي آثَارِهِمْ بِالشُّهُبِ".

قلت: وقد ذكر نحوًا من ذلك في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٠).

» اعْلَمُوا أَنَّ التَّأْوِيلَ يُطْلَقُ فِي الِاصْطِلَاحِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

- يُطْلَقُ عَلَى: "مَا تَؤُولُ إِلَيْهِ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ فِي ثَانِي حَالٍ"، وَهَذَا هُوَ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ نَحْوَ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أَيْ: مَا تَؤُولُ إِلَيْهِ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ فِي ثَانِي حَالٍ.
- وَيُطْلَقُ "التَّأْوِيلُ" عَلَى "التَّفْسِيرِ". وَهَذَا تَأْوِيلٌ[1] مَعْرُوفٌ، كَقَوْلِ ابْنِ جَرِيرٍ: "الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَا"، أَيْ: تَفْسِيرِهِ.
- أَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الْأُصُولِيِّينَ، فَـ"التَّأْوِيلُ"[2]: "هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ لِدَلِيلٍ".

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "وهذا قول...".

☆☆☆

(٢) وعرَّفه في "مذكرة أصول الفقه" بأنه: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدُلّ على ذلك.

» وَصَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ[١] الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ، لَهُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الأُصُولِ ثَلاثُ حَالاتٍ:

- إِمَّا أَنْ يَصْرِفَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ لِدَلِيلٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّأْوِيلِ صَحِيحٌ مَقْبُولٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ، وَمِثَالُ هَذَا النَّوْعِ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ**"[٢]؛ فَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ ثُبُوتُ الشُّفْعَةِ لِلْجَارِ، وَحَمْلُ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى خُصُوصِ الشَّرِيكِ الْمُقَاسِمِ حَمْلٌ لِلَّفْظِ عَلَى مُحْتَمَلٍ مَرْجُوحٍ غَيْرِ ظَاهِرٍ مُتَبَادِرٍ

---

(١) **الظاهر**: هو المعنى الذي تتبادر إليه البصائر والأفهام.

وفي اصطلاح الفقهاء: هو اللفظ المحتمل لمعنيين هو في أحدهما أرجح دلالة.

وحكمه أنه لا يُعْدَلُ عنه إلا بتأويل، وهو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يُصَيِّر المرجوح راجحًا.

مثال ذلك: "**الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ**".

الصَّقَبُ: القرب والملاصقة، والمراد به الشفعة، فهذا الحديث في ثبوت الشفعة للجار الملاصق، والمقابل أيضًا، مع احتمال أنَّ المراد بالجار: الشريك المخالط إما حقيقةً أو مجازًا، لكن هذا الاحتمال ضعيف بالنسبة إلى الظاهر، فلمَّا نظرنا إلى قوله ﷺ: "**إِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ فَلَا شُفْعَةَ**" صار هذا الحديث مقويًا لذلك الاحتمال الضعيف في الحديث المتقدم حتى ترجحا على ظاهره فقدَّمناه وقلنا: لا شفعة إلا للشريك المقاسم، وحملنا عليه الجار في الحديث الأول، وهو حمل سائغ في اللغة.

☆☆☆

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٥٨، ٦٩٧٧، ٦٩٧٨، ٦٩٨٠، ٦٩٨١)، وأبو داود (٣٥١٦) من حديث أبي رافع مولى النبيِّ ﷺ، وفيه قصة بينه وبين سعد بن أبي وقاص ﵄.

إِلَّا أَنَّ حَدِيثَ جَابِرٍ الصَّحِيحَ: "فَإِذَا ضُرِبَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ؛ فَلَا شُفْعَةَ"(١)، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْجَارِ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ خُصُوصُ الشَّرِيكِ الْمُقَاسِمِ؛ فَهَذَا النَّوْعُ مِنْ صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ؛ لِدَلِيلٍ وَاضِحٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ، هَذَا تَأْوِيلٌ يُسَمَّى تَأْوِيلًا صَحِيحًا، وَتَأْوِيلًا قَرِيبًا، وَلَا مَانِعَ مِنْهُ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ.

• الثَّانِي: هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ لِشَيْءٍ يَعْتَقِدُهُ الْمُجْتَهِدُ دَلِيلًا، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَلِيلٍ؛ فَهَذَا يُسَمَّى تَأْوِيلًا بَعِيدًا. وَمَثَّلَ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِتَأْوِيلِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَفْظَ "الْمَرْأَةِ" فِي قَوْلِهِ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا؛ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٣، ٢٢١٤، ٢٢٥٧، ٢٤٩٥، ٢٤٩٦، ٦٩٧٦)، ومسلم (١٦٠٨)، وغيرهما. ولفظه عند البخاري (٢٢١٣)، عن جابر رضي الله عنه: "جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الشُّفْعَةَ فِي كُلِّ مَا يقسم، فَإِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ فَلَا شُفْعَةَ".

☆☆☆

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٧ و١٦٥)، والحميدي في مسنده (٢٢٨)، وأبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢)، وقال: هذا حديث حسن. وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ١٢٨)، والشافعي في "الأم" (٥/ ١٣)، وفي "المسند" (٢/ ١١)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ٧)، والدارمي (٢/ ١٣٧)، وابن ماجه (١٨٧٩)، وابن حبان (١٢٤٨)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ١٦٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وسليمان بن موسى لم يخرج له البخاري شيئًا. وعبد الرزاق في "المصنف" (١٠٤٧٢)، والنسائي في "الكبرى" - كما في "التحفة"

(١٢/ ٤٣) -، وابن عدي في "الكامل" (٤/ ٢٥٥)، والطيالسي (١٤٦٣)، وابن الجارود (٧٠٠)، والدارقطني (٣/ ٢٢١)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٧/ ١٠٥) - وأطال في الكلام عليه -، وابن الجوزي في "التحقيق" (١٩٨٧)، وقال: صحيح ورجاله رجال الصحيح. فردَّه ابن عبد الهادي في "التنقيح" (٣/ ٢٦١)، فقال: سليمان صدوق وليس من رجال الصحيحين.

كلهم من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **"أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَالْمَهْرُ لَهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ"**، لفظ أبي داود.

وهذا سند حسن رجاله ثقات غير سليمان بن موسى فهو صدوق فقيه في حديثه بعض لين، وخلط قبل موته بقليل، قاله الحافظ في "التقريب". أما الذهبي فقال في "الضعفاء": صدوق، قال البخاري عنده مناكير، وابن جريج مدلس لكنه صرح بالتحديث في رواية أحمد وعبد الرزاق.

وقد توبع سليمان بن موسى، تابعه جعفر بن ربيعة عن ابن شهابٍ به، أخرجه أبو داود (٢٠٨٤)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ٧)، وأحمد (٦/ ٦٦)، والبيهقي (٧/ ١٠٥)، لكنها متابعة لا يُفْرَحُ بها.

فقد قال أبو داود عقبه: جعفر لم يسمع من الزهري كتب إليه.

قلت: المكاتبة حجة عند الأكثرين من المحققين كما قال ابن الصلاح: (وهو الصحيح المشهور بين أهل الحديث) كما في "التقييد والإيضاح" (ص١٦٥)، لكن الراوي عن جعفر: ابنُ لهيعة، وفي حفظه مقال مشهور وأيضًا تابعه عبيد الله بن أبي جعفر.

أخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ٧) لكن من طريق ابن لهيعة عنه أيضًا.

وتابعه الحجاج بن أرطأة عن الزهري به بلفظ **"لا نكاح إلا بولي"** أخرجه الطحاوي (٣/ ٧)، وابن ماجه (١٨٨٠)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ١٣٠)، وأحمد (٦/ ٢٦٠).

والحجاج فيه مقال، ولم يسمع من الزهري، كما حكى هو عن نفسه، وكذا قال ابن معين وأبو زرعة وغيرهما.

وقد توبع الزهري، تابعه هشام بن عروة عن عروة به، أخرجه الخطيب في تاريخه (١٢/ ١٥٧)، لكن الراوي عن هشام نوح بن درَّاج واهٍ جدًا، وقد كذَّبه ابن معين وأبو داود وابن حبان، وكذا رواه مندل عن هشام به (١٣/ ٢٤٩)، وتابعه ثابت بن قيس به، أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٣/ ٤٣٥) من طريق خالد بن يزيد العدوي أبي الوليد ثنا أبو الغصن ثابت بن قيس أنه سمع عروة يحدِّث عن عائشة به.

قال ابن عدي: وهذا الحديث عن عروة بن الزبير، يحدثه عنه الزهري وهشام بن عروة وثابت ابن قيس هذا ثالثهم، ولا أعلم يرويه عنه غير خالد بن يزيد هذا، ولعل البلاء فيه من أبي الغصن (ثابت بن قيس) لا من خالد، ولخالد بن يزيد العدوي غير هذا من الحديث، ومقدار ما يرويه عمن رواه لا يتابع عليه.

وتابع عروة عليه عبد الله بن شداد عن عائشة.

أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٩/ ١٠٨) من طريق بكر بن الشرود عن سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن شداد به.

قال ابن عدي: وهذا الحديث لا أَعْلَمُ رَوَاهُ عَنِ الثَّوْرِيّ غَيْرَ بكر بن الشرود ويحيى بن إبراهيم السلمي، وهذا شيخ غير معروف.

قَالَ ابن عدي (٩/ ١٠٨): وَيَحْيَى هَذَا لَيْسَ بِالْمَشْهُورِ. وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيضًا مُنْكَرٌ عَنِ الثَّوْرِيّ لا يرويه عَنْهُ غير يَحْيى بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَبَكْرُ بْنُ الشَّرُودِ. وبكر هذا قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أيضًا: ليس بثقة. ثم عبد الملك بن عمير مختلف فيه، وقال في "التقريب": ثقة فصيح عالم، تغير حفظه، وربما دلَّس.

وقد طعن جماعة في هذا الحديث من جهة أنَّ ابن جريج قال: لقيت الزهري فسألته عن هذا الحديث فلم يعرفه! فقلت له: إنَّ سليمان بن موسى حدَّثنا به عنك. فأثنى على سليمان خيرًا، وقال: أخشى أن يكون وَهِمَ علَيَّ.

وقد ذكر هذه القصة أحمد (٦/ ٤٧)، والعقيلي في ترجمة سليمان بن موسى (١٦٤٠)، والحاكم

من طريق أبي حاتم الرازي، وابن عدي في "الكامل" (٤/ ٢٥٥).

وقد رَدَّ هذه القصة ابن معين؛ حيث قال: لم يذكر هذا الحرف عن ابن جريج إلا إسماعيل ابن إبراهيم، وسماع إسماعيل بن إبراهيم من ابن جريج ليس بذاك.

وقد أعلَّ هذه الحكاية ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيرهم. وقد أجاب عنها ابن حبان في صحيحه فيما نقله عنه الحافظ الزيلعي (٣/ ٣٤٤)، قال: وقد أوهم هذا الخبر من لم يُحكِم صناعة الحديث أنه منقطع بحكاية حكاها ابن عُلَيَّة عن ابن جريج أنه قال: فذكرها، قال: وليس هذا مما قد يقدح في صحة الخبر؛ لأن الضابط من أهل العلم قد يُحَدِّثُ بالحديث ثم ينساه.

قال ابن عدي في "الكامل" (٤/ ٢٥٥-٢٥٦): وهذا حديث جليل في هذا الباب [في باب] **"لا نكاح إلا بولي"، وعلى هذا الاعتماد في إبطال نكاح بغير وليٍّ.**

وقد رواه عن ابن جريج الكبار من الناس، منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، ورواه عن يحيى بن سعيد زهير بن معاوية، ورواه عن يحيى يعلى بن عبيد وأبو بدر شجاع بن الوليد وأبو حمزة السكري، ورواه عن ابن جريج الليث بن سعد عن ابن وهب عن ابن جريج، ورواه الليث عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج، ورواه الثوري عن ابن جريج، ولا يعرف بهذا الإسناد عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة على هذا النسق حديث آخر بهذا الإسناد ولم يكن يعرف غيره حتى حدَّثنا- فذكر حديثًا آخر بهذا الإسناد. اهـ.

قال: وقد حدَّث بحديث: **"لا نكاح إلا بوليٍّ"** عن الزهري عن عروة عن عائشة مع سليمان ابن موسى: حجاج بن أرطأة ويزيد بن أبي حبيب وقرة بن حيوئيل وأيوب بن موسى وابن عيينة وإبراهيم بن سعد، وكل هؤلاء طرقهم طرق غريبة إلا حديث حجاج بن أرطأة فهو مشهور رواه عنه جماعة. اهـ(*).

☆☆☆

قَالُوا: حَمْلُ هَذَا عَلَى خُصُوصِ الْمُكَاتَبَةِ تَأْوِيلٌ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّهُ صَرْفٌ لِلَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ "امْرَأَةٍ"(١) "أَيُّ" صِيغَةُ عُمُومٍ، وَأُكِّدَتْ صِيغَةُ الْعُمُومِ بِـ"مَا" الْمَزِيدَةِ لِلتَّوْكِيدِ؛ فَحَمْلُ هَذَا عَلَى صُورَةٍ نَادِرَةٍ هِيَ الْمُكَاتَبَةُ، هَذَا حَمْلٌ لِلَّفْظِ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ جَازِمٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

- **أَمَّا صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ لَا لِدَلِيلٍ:** فَهَذَا لَا يُسَمَّى تَأْوِيلا فِي الِاصْطِلَاحِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ الْأُصُولِيُّونَ لَعِبٌ؛ لِأَنَّهُ تَلَاعُبٌ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمِنْ هَذَا تَفْسِيرُ غُلَاةِ الرَّوَافِضِ كَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾[البقرة: ٦٧]، قَالُوا: عَائِشَةَ.(٢)

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ صَرْفُ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَنْ ظَوَاهِرِهَا إِلَى مُحْتَمَلَاتٍ ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ كَقَوْلِهِمْ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بِمَعْنَى "اسْتَوْلَى"، فَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يُسَمَّى هَذَا فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْأُصُولِ لَعِبًا؛ لِأَنَّهُ تَلَاعُبٌ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا مُسْتَنَدٍ.

---

(١) هكذا والصواب كما في "مذكرة أصول الفقه" (٢١٤): لأن لفظة "أي" صيغة عموم وقد أكد عمومها بـ"ما" المزيدة للتوكيد. وفي طبعة عالم الفوائد: لأن "امرأة" و"أي".

☆☆☆

(٢) وقد ذكر الشيخ رحمه الله في "أضواء البيان" أنَّ التأويل يطلق ثلاثة إطلاقات، فذكرها نحوًا مما هنا تفسير سورة (آل عمران) (١/ ٢٠٩).

فَهَذَا النَّوْعُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ تَهَجُّمٌ عَلَى كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالْقَاعِدَةُ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ السَّلَفِ:

"أَنَّهُ لَا يَجُوزُ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمُتَبَادِرِ مِنْهُ، إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ".

اعْتِقَادُ التَّشْبِيهِ سَبَبُ نَفْيِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ

وَكُلُّ هَذَا الشَّرِّ يَا إِخْوَانِي، - اسْمَعُوا نَصِيحَةَ مُشْفِقٍ - كُلُّ هَذَا الشَّرِّ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ مَسْأَلَةٍ، وَهِيَ: نَجَسُ الْقَلْبِ، وَتَلَطُّخُهُ، وَتَنَجُّسُهُ بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ؛ فَإِذَا سَمِعَ الْقَلْبُ الْمُتَنَجِّسُ بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، أَثْنَى اللهُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ كَنُزُولِهِ لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ(١)، وَكَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ(٢)، وَكَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ.

أَوَّلُ مَا يَخْطُرُ فِي ذِهْنِ الْمِسْكِينِ أَنَّ هَذِهِ صِفَةٌ تُشْبِهُ صِفَةَ الْخَلْقِ؛ فَيَكُونُ قَلْبُهُ مُتَنَجِّسًا بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ، لا يَقْدِرُ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا يُعَظِّمُ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، حَيْثُ يَسْبِقُ(٤) إِلَى ذِهْنِهِ أَنَّ صِفَةَ الْخَالِقِ تُشْبِهُ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

☆☆☆

(٢) مرَّ ذكر الآيات الدالة على استوائه ﷻ.

☆☆☆

(٣) من الأدلة من القرآن: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ...﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]؛ ففي هذه الآيات إثبات المجيء والإتيان.

☆☆☆

(٤) قرأ الشيخ هنا: يغلب يسبق. فيظهر أنَّ قوله: "يغلب" سبق لسان.

فَيَكُونُ مُشَبِّهًا أَوَّلًا، نَجِسَ الْقَلْبِ مُتَقَذِّرَهُ بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ؛ فَيَدْعُوهُ شُؤْمُ هَذَا التَّشْبِيهِ إِلَى أَنْ يَنْفِيَ صِفَةَ الْخَالِقِ ﷻ عَنْهُ بِادِّعَاءِ أَنَّهَا تُشْبِهُ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ؛ فَيَكُونُ مُشَبِّهًا أَوَّلًا، مُعَطِّلًا ثَانِيًا، ضَالًّا ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، مُتَهَجِّمًا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ بِنَفْيِ صِفَتِهِ عَنْهُ، وَادِّعَاءِ أَنَّ تِلْكَ الصِّفَةَ لَا تَلِيقُ.

● ● ●

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَنَا قَاعِدَةً أُصُولِيَّةً أَطْبَقَ عَلَيْهَا مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهِيَ: **"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (صلوات الله وسلامه عليه) لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ، وَلَاسِيَّمَا فِي الْعَقَائِدِ"**.

وَلَاسِيَّمَا لَوْ مَشَيْنَا عَلَى فَرْضِهِمُ الْبَاطِلِ "أَنَّ[1] ظَاهِرَ آيَاتِ الصِّفَاتِ الْكُفْرُ"[2].

---

(١) قال هنا: "أنَّ مثلًا ظاهر".

☆☆☆

(٢) قائل هذه المقالة العجيبة الغريبة هو أحمد الصاوي في حاشيته على "الجلالين" (٣/ ١٠) تفسير سورة (الكهف) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ آية: ٢٣و٢٤، قال: ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربَّما أدَّاه ذلك للكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنّة من أصول الكفر. اهـ.

فهذه مقالة شنيعة باطلة صاحبها جريء على الله ﷻ وعلى كتابه وعلى نبيه ﷺ وعلى أصحابه ﷺ، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأربعة دون الآخر، فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل بل غاية ما يقال: إنه يسوغ، أو ينبغي، أو يجب

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُؤَوِّلْ الِاسْتِوَاءَ بِالِاسْتِيلَاءِ، وَلَمْ يُؤَوِّلْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهَا هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، لَبَادَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيَانِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ.

● ● ●

فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَعْتَقِدَ هَذَا الِاعْتِقَادَ، الَّذِي يَحُلُّ جَمِيعَ الشُّبَهِ، وَيُجِيبُ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْئِلَةِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَمِعَ وَصْفًا وَصَفَ بِهِ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛

على العاميِّ أن يقلد واحدًا لا بعينه من غير تعيين زيد ولا عمرو.

وأما أن يقال: إنه يجب على الأمة تقليد فلان أو فلان، فهذا لا يقوله مسلم.

إلى أن قال رحمه الله: والواجب على الخلق: اتباع المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فعلى أقواله وأحواله وأفعاله توزن جميع الأحوال والأقوال والأفعال. اهـ. من "مختصر الفتاوى المصرية" (ص ٤٦-٤٧).

وله رحمه الله كلامٌ نحو هذا في "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٢٠٨-٢٠٩) و(١٩/ ٦٩-٧٠).

فالواجب على الناس: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ. ولا يجب على أحد من المسلمين التزام مذهب شخص معين غير الرسول ﷺ في كل ما يوجبه ويخبر به. بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول ﷺ. فما قاله هذا القائل من أشنع الباطل وأعظم القول بغير الحق على الله وكتابه وعلى نبيه ﷺ وسنته المطهرة.

وقد ردَّ هذه المقالة وبيَّن عَوَارَهَا وفسادها الشنقيطي رحمه الله في كتابه "الإقليد" (ص٢٤) وما بعدها، وفي "أضواء البيان" (٧/ ٣٨٥) تفسير سورة (محمد) ﷺ عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

فَلْيَمْتَلِأْ صَدْرُهُ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَيَجْزِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ بَالِغٌ مِنْ غَايَاتِ الْكَمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْعُلُوِّ، مَا يَقْطَعُ جَمِيعَ عَلَائِقِ أَوْهَامِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَيَكُونُ الْقَلْبُ مُنَزِّهًا مُعَظِّمًا لِلَّهِ ﷻ غَيْرَ مُتَنَجِّسٍ بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ، فَتَكُونُ أَرْضُ قَلْبِهِ قَابِلَةً لِلْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِصِفَاتِ اللهِ، الَّتِي تَمَدَّحَ بِهَا وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ عَلَى غِرَارِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

● ● ●

وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي عَدَمِ تَعْظِيمِ اللهِ، وَأَنْ يَسْبِقَ فِي ذِهْنِ الْإِنْسَانِ أَنَّ صِفَةَ الْخَالِقِ تُشْبِهُ صِفَةَ الْمَخْلُوقِ؛ فَيَضْطَرُّ الْمِسْكِينُ أَنْ يَنْفِيَ صِفَةَ الْخَالِقِ بِهَذِهِ الدَّعْوَى الْكَاذِبَةِ الْفَاجِرَةِ الْخَائِنَةِ.



قَاعِدَتَانِ هَامَّتَانِ نَبَّهَ عَلَيْهِمَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ طُلَّابَ الْعِلْمِ

وَلَا بُدَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ نُقَطٍ يَتَنَبَّهُ لَهَا طَالِبُ الْعِلْمِ:

أَوَّلًا:

أَنْ يَعْلَمَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنَّ جَمِيعَ الصِّفَاتِ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهَا الْبَتَّةَ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا لَا يُشْبِهُ الْخَلْقَ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْبَتَّةَ؛ فَكَمَا أَنَّكُمْ أَثْبَتُّمْ لَهُ جَلَّ وَعَلَا سَمْعًا وَبَصَرًا لَائِقَيْنِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، لَا يُشْبِهَانِ شَيْئًا مِنْ أَسْمَاعِ الْحَوَادِثِ وَلَا أَبْصَارِهِمْ، فَكَذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ تُجْرُوا هَذَا بِعَيْنِهِ فِي صِفَةِ الِاسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ وَالْمَجِيءِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، الَّتِي أَثْنَى اللهُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِمَا يَلْزَمُهُ مَحْذُورٌ، أَوْ يَلْزَمُهُ مُحَالٌ، أَوْ يُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَصِفُ نَفْسَهُ إِلَّا بِوَصْفٍ بَالِغٍ مِنَ الشَّرَفِ وَالْعُلُوِّ وَالْكَمَالِ، مَا يَقْطَعُ جَمِيعَ أَوْهَامِ عَلَائِقِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثَّانِي(*):

أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ الصِّفَاتِ وَالذَّاتَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ؛ فَكَمَا أَنَّنَا نُثْبِتُ ذَاتَ اللهِ ﷻ إِثْبَاتَ وُجُودٍ وَإِيمَانٍ، لَا إِثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ مُكَيَّفَةٍ مُحَدَّدَةٍ؛ فَكَذَلِكَ نُثْبِتُ لِهَذِهِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ صِفَاتٍ إِثْبَاتَ إِيمَانٍ وَوُجُودٍ، لَا إِثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ وَتَحْدِيدٍ(١).



(١) وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ نحوًا من هذا في كتابه "أضواء البيان" (٢/ ٢٣٨).

☆☆☆

(*) كلمة لم تتبيَّن لي ولعلها: "يجب" أو "الفرض".

غَلَطُ مَنْ يُطلِقُ عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ أَنَّهَا مِنَ المُتَشَابِهِ

وَاعْلَمُوا أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُطْلِقُ عَلَيْهَا اسْمَ الْمُتَشَابِهِ؛ وَهَذَا مِنْ جِهَةٍ غَلَطٌ، وَمِنْ جِهَةٍ قَدْ يَسُوغُ كَمَا بَيَّنَهُ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ. أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ **الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** رَحِمَهُ اللهُ: **"الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ"**[1].

---

(١) **هذا الأثر روي عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موقوفًا، وربيعة بن عبد الرحمن، ومالك بن أنس رحمهما الله.**

(١)- أما أثر أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

أخرجه الصابوني في "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (ص١٧٨)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة" (٣/ ٤٤٠-٤٤١) رقم (٦٦٣)، وابن بطة في "الإبانة" (٣/ ١٦٢) رقم (١٢٠)، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٧٣) إلى ابن مَرْدُوَيه.

من طريق أبي يحيى الوراق - ونسب عند اللالكائي بالنهدي - حدَّثنا أبو كنانة محمد بن الأشرس الأنصاري ثنا أبو عمير الحنفي - ووقع عند الصابوني أبو المغيرة - عمير بن عبد المجيد الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه - وعند اللالكائي: عن أمه - عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

قالت: **"الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر"**.

وهذا إسناد ضعيف.

أبو كنانة محمد بن أشرس الأنصاري، قال الذهبي في "العلوّ" (ص٨١): ليس بثقة.

وأبو عمير الحنفي عمير بن عبد المجيد ، قال ابن معين: ضعيف. وقال ابن أبي حاتم: ليس به بأس - كما في "الجرح والتعديل" (٣/ ٣٧٧) -. وقال الذهبي: لا أعرفه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٣٦٥): وروي هذا الجواب عن أم سلمة موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

قلت: لم أقف عليه مرفوعًا، والله أعلم.

وقال الذهبي في "العلوّ" (ص٨١): وهذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، وأما أم سلمة فلا يصح؛ لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. اهـ.

(٢)- أما أثر ربيعة بن عبد الرحمن:

فأخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٣/ ١٦٣) رقم (١٢١)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة" (٣/ ٤٤١-٤٤٢) رقم (٦٦٥)، وابن قدامة في "إثبات صفة العلوّ" (١/ ١١٤) وفي "ذمّ التّأويل" له أيضًا (ص٣٣)، لكن بدون سند من طريق اللالكائي، من طريق أحمد ابن محمد بن صدقة، حدَّثنا أحمد بن محمد بن يحيى القطان، حدَّثنا يحيى بن آدم، عن سفيان ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ قال: **"الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وَمِنَ اللهِ الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق"**(*).

وهذا إسناد صحيح.

شيخ ابن بطة: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النَّحْوِيّ المعروف بابن الأنباري، الإمام الحافظ اللُّغويّ ذو الفنون. قال الخطيب: كان صدوقًا دَيِّنًا من أهل السنَّة. "سير أعلام النبلاء" (١٥/ ٢٧٤).

وتابعه أحمد بن محمود بن يحيى بن داود النهاوندي عند اللالكائي وابن قدامة.

وأحمد بن محمد بن صدقة قال عنه الدارقطني: ثقة ثقة. "سير أعلام النبلاء" (١٤/ ٨٣)، "تاريخ بغداد" (٥/ ٤٠).

أحمد بن محمد بن يحيى القطان قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا. وقال ابن حبان - بعد أن ذكره في الثقات -: وكان متقنًا.

يحيى بن آدم: ثقة حافظ فاضل كما في "التقريب"، وسفيان بن عيينة: ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات. وقال شيخ الإسلام في "الحموية" (ص٣٠٦): وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة...فذكره(**).

(*) وقع عند اللالكائي في سنده: أحمد بن محمد عن يحيى القطان. والصواب ابن يحيى، كما وقع عند ابن بطة في المتن: "وعَلَى النبيّ البلاغ".

(**) وقال في "الفتاوى" (٥/ ٣٦٥): وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك.

قلت: يحيى بن آدم سمع من سفيان قديمًا، فلم يذكروا أنه سمع منه في "الاختلاط"(*).

ورواه الذهبي في "العلوّ" (ص١٢٩) بإسناده إلى النجاد، ثنا معاذ بن المثنى، حدثني محمد ابن بشير، حدثنا سفيان: قال كنتُ عند ربيعة فذكره.

قال الشيخ الألباني في "مختصر العلوّ" (١٣٢): ساقه المصنف (ص٩٨) بإسناده المتصل إلى سفيان وهو الثوري وهو صحيح. وقال ابن تيمية في "الحموية" (ص٣٠٦): وروى الخلال بإسناد كلهم ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن عبد الرحمن فذكره. وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٨٦٨) من طريق أحمد بن مهدي، ثنا موسى بن خاقان، ثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال: سئل ربيعة الرأي عن قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ كيف استوى؟ قال: **"الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ويجب عليَّ وعليكم الإيمان بذلك كله"**.

قلت: عبد الله بن صالح بن مسلم، أبو صالح كاتب الليث. قال الحافظ في "التقريب": صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة. اهـ.

ثم إن هذا الإسناد منقطع فعبد الله بن صالح لم يدرك ربيعة بن عبد الرحمن؛ فإنَّ ربيعة تُوُفِّيَ قبل مولده.

وثَمَّ مخالفة في المتن:

فالجميع رَوَوْهُ بلفظ: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ...كما سبق.

ورواه عبد الله بن صالح فقال: الكيف مجهول، والاستواء غير معقول. وهذا يدل على ضعفه، والله أعلم - وإن كان يمكن حمله على معنى صحيح -.

(٣)- أما أثر مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فقد ورد عنه من طرق لا تخلو من مقال إلا أنها بمجموعها صالحة.

روى هذا الأثر عن مالك - فيما وقفت عليه -:

١ - يحيى بن يحيى التميمي.

٢- جعفر بن ميمون.

٣- جعفر بن عبد الله.

٤- عبد الله بن نافع.

٥- عبد الله بن وهب.

وهاك تخريجها:

١ - أما رواية يحيى بن يحيى:

فقد أخرجها البيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (٨٦٧)، وفي "الاعتقاد" (١/ ١١٦)، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيان المعروف بأبي الشيخ(*)، ثنا أبو جعفر أحمد بن زيرك اليزدي، سمعت محمد بن عمرو ابن النضر النيسابوري يقول: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: **"الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا"**. فأمر به أن يخرج.

أحمد بن محمد بن أحمد بن الحارث الفقيه هو التميمي الأصبهاني المقري الأديب المحدِّث الدِّين الزاهد الورع الثقة، له ترجمة في "العبر" (٣/ ١٧٠)، و"شذرات الذهب" (٣/ ٢٤٥).

وعبد الله بن محمد الأصبهاني أبو الشيخ حافظ مشهور.

وأبو جعفر أحمد بن زيرك هو أحمد بن مهران بن خالد اليزدي الأصبهاني ذكره الشيخ مقبل ابن هادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رجال الحاكم (١/ ٢٠١).

قال أبو نعيم في "أخبار أصبهان" (١/ ٩٥): كان لا يخرج من بيته إلا للصلاة. اهـ.

وذكره الحافظ في زياداته في "لسان الميزان"، وذكره السمعاني في "الأنساب" (١٣/ ٤٩٣). اهـ - ملخصًا -.

قلت: لم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا. فالله أعلم.

وأما محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري فقد يكون هو محمد بن عمرو بن النضر أبو علي الجرشي النيسابوري قشمرد. قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢٨١-٢٩٠) (ص٢٨٢): وكان صادقًا مقبولًا.

ويحيى بن يحيى التميمي أحد رواة "الموطأ" ثقة مشهور.

٢- وأما رواية جعفر بن ميمون:

فقد أخرجها الصابوني في "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (١٨٠-١٨١) من طريق شاذان - الأسود بن عامر - ثنا ابن مَخْلَد بن يزيد القُهُسْتاني، ثنا جعفر بن ميمون به نحوه.

وابن مخلد بن يزيد لم أقف على ترجمة له.

وجعفر بن ميمون لعله التميمي أبو علي أو أبو العوام الأنماطي فإن كان هو فقد ترجمه في "التهذيب" قال: أحمد ليس بقوي في الحديث. وقال البخاري: ليس بشيء. وقال ابن معين: ليس بذاك. وقال مرة: ليس بثقة. وقال النسائي: ليس بالقوي. وذكره يعقوب بن سفيان فيمن يرغب عن الرواية عنهم. وقال أبو حاتم: صالح. وقال ابن معين: صالح الحديث. وقال الدارقطني: يُعتبر به. وقال الحاكم: من ثقات البصريين. وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات، وقال الحافظ في "التقريب": صدوق يخطيء. وقال ابن عدي: لم أرَ أحاديثه منكرة، وأرجو أنه لا بأس به، ويكتب حديثه في الضعفاء.

قلت: فمثله يُعتبر به، خاصة وأنه لم ينفرد برواية هذا الأثر، بل توبع عليه، إلا أنَّ الراوي عنه ابن مخلد بن يزيد لم أقف له على ترجمة.

٣- رواية جعفر بن عبد الله:

رواها عنه مهدي بن ميمون واختلف عليه.

فأخرجها الدارمي في "الرد على الجهمية"، رقم (١٠٤)، قال: حدَّثنا مهدي بن جعفر الرملي، حدَّثنا جعفر بن عبد الله - وكان من أهل الحديث ثقة - عن رجل سمَّاه لي قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال...فذكر الأثر. وهذا إسناد حسن لحال مهدي بن ميمون - كما سيأتي -.

وأخرجها اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنّة" (٣/ ٤٤١) رقم (٦٦٤)، والصابوني في "عقيدة أهل الحديث" رقم (٢٥و٢٦)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٣٥٥)، ومن طريقه الذهبي

في "السير" (٨/ ١٠٠) كلهم من طريق سلمة بن شبيب، حدَّثنا مهدي بن جعفر الرملي، ثنا جعفر ابن عبد الله، قال: جاء رجل إلى مالك فقال... .

وأخرجها ابن عبد البر في "التمهيد" (٧/ ١٥١) من طريق بكار بن عبد الله القرشي، حدَّثنا مهدي بن جعفر عن مالك بن أنس، فسأله عن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك، ثم قال: **"استواؤه مجهول، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة"**.

فهذا اللفظ فيه اختلاف عمَّا هو مشهور عن مالك - وإن كان يمكن حمله على معنى صحيح -.

فالخلاف إذن على مهدي بن ميمون على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: مهدي بن ميمون عن جعفر بن عبد الله عن رجل - جاء رجل - فعلى هذا جعفر لم يشهد هذه الحكاية.

الوجه الثاني: مهدي بن ميمون عن جعفر بن عبد الله: جاء رجل...، وهذا يدل على أنه شهدها.

الوجه الثالث: مهدي بن جعفر عن مالك أنه سأله، فيكون مهدي هو الذي شهد القصة.

أما حال رجال السند: فمدار هذا الأثر على مهدي بن ميمون ترجمته في "تهذيب التهذيب" قال الحافظ : مهدي بن جعفر بن جَيْهان بن بهرام الرملي الزاهد أبو محمد ويقال: أبو عبد الرحمن قال يحيى بن معين: ثقة، لا بأس به. وقال صالح بن محمد: لا بأس به. وقال ابن عدي: يروي عن الثقات أشياء لا يتابعه عليها أحد(*).

وقال البخاري: حديثه منكر.

وقال الحافظ في "التقريب": مهدي بن جعفر بن حَيَّهان(**) بتشديد التحتانية الرملي الزاهد، صدوق له أوهام. وقال في الثقات (٩/ ٢٠١): ربما أخطأ.

أما سلمة بن شبيب فهو ثقة كما قال الحافظ في "التقريب".

فالسند الأول الذي رواه الدارمي حسن لحال مهدي وكذا الثاني.

(*) قال الذهبي: ما رأيتُ كلام ابن عدي فيه في "كامله" نقله الحافظ في "التهذيب".

(**) قال المحقق كذا في المخطوطة والتهذيبين وفي أكثر النسخ المطبوعة مهدي بن جعفر بن حيان.

قلت: رأيت في النسخة التي معي مهدي بن جعفر بن جَيْهان (بجيم بعدها ياء مخففة)، والله أعلم.

أما سند ابن عبد البر ففيه بكار بن عبد الله القرشي، وقفت على ترجمته في "تهذيب تاريخ دمشق" (٣/ ٢٨٤) قال: روى عنه بقي بن مخلد وغيره وكان من المحدِّثين، قال أبو زرعة: صدوق. وقال إسماعيل بن عبد الله السكري: لم أجِز شهادة بكار بن عبد الله قط، وهو الذي بعث الكتب إلى الوليد بن مسلم، وهما كذابان.

فهذا الاختلاف في السند قد يكون من مهدي بن جعفر وقد سبق ذكر حاله، فقد لا تتحمل حاله تعدد الأسانيد. أو يقال: إنَّ جعفر بن عبد الله حضر القصة فرواها عن مالك مباشرة ثم سمعها من رجل آخر شهدها أيضًا، وهذا ممكن إذا قلنا بتعدد هذه الواقعة وأنَّ مالك سئل عنها أكثر من مرة، فأخبر جعفر بما رآه، وأخبر بما سمع.

وجعفر هذا لعله جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان - فإن كان هو -؛ فقد ذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: ثقة. وقد سبق قول الدارمي: وكان من أهل الحديث، ثقة.

أما ما وقع في سند ابن عبد البر وأنَّ مهدي بن ميمون هو الذي شهد القصة، فهذا ممكن أيضًا - إذا صح السند إليه - فقد سبق ذكر حال بكار بن عبد الله - حيث ذكر الذهبي - كما في "التهذيب" قال: ورأيت له رواية عن مالك في تفسير ابن أبي حاتم.

قلت: زاد ابن عبد البر (٧/ ١٥١) بعد رواية هذا الأثر: قال بقي: وحدَّثنا أيوب بن صلاح المخزومي بالرملة قال: كنا عند مالك إذ جاءه عراقي فقال له: يا أبا عبد الله، مسألة أريد أن أسألك عنها. فطأطأ مالك رأه فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟

قال: "سَأَلْتَ عن غير مجهول، وتكلمت عن غير معقول، إنك امرؤ سوء، أخرِجوه". فأخذوا بضبعيه فأخرجوه.

وهذا محتمل أن يكون من الطريق السابق رواه ابن عبد البر عن محمد بن عبد الملك عن عبد الله ابن يونس عن بقي به، وهذا سند حسن إلى بقي، أو يكون معلقًا من قول ابن عبدالبر، والله أعلم.

٤- عبد الله بن نافع:

ذكرها ابن عبد البر في "التمهيد" (٧/ ١٣٨) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سريج بن النعمان، حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان". قال: وقيل لمالك: و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فقال مالك: "استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجلَ سوء".

وهذا إسناد حسن فشيخ ابن عبد البر عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أبو محمد التجيبي قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" حوادث (٣٨١: ٤٠٠): كان كثير الحديث، مسندًا صحيح السماع، صدوقًا إن شاء الله ، إلا أن ضبطه لم يكن جيدًا.

وأحمد بن جعفر بن حمدان هو أبو بكر القطيعي قال الذهبي في "السير" (١٦/ ٢١٠): الشيخ العالم المحدِّث مسند الوقت. وقال في "الميزان" (١/ ٨٧): صدوق في نفسه، مقبول، تغير قليلًا. قال الخطيب: لا أعلم أحدًا ترك الاحتجاج به. ووثقه الدارقطني والحاكم وقال ابن أبي الفوارس: صدوق لا يشك في سماعه. وقال في "المختلطين" (١/ ٦) عن ابن الفرات: خَرِفَ في آخر عمره حتى كان لا يعرف شيئًا مما يقرأ عليه.

وسُرَيْج بن النعمان هو ابن مروان الجوهري ثقة يهِم قليلًا.

وعبد الله بن نافع بن أبي نافع الصائغ ثقة، صحيح الكتاب، في حفظه لين، وإن كان عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير [الزبيري] فهو صدوق، إذ كلاهما يروي عن مالك.

وعبد الله بن أحمد ثقة، وأبوه الإمام أحمد ثقة حافظ فقيه حجة.

فالسند حسن، والله أعلم.

٥- عبد الله بن وهب:

أخرج البيهقي هذا الأثر عن ابن وهب في "الأسماء والصفات" رقم (٨٦٦) من طريق أحمد ابن محمد بن إسماعيل بن مهران، ثنا أبي، حدثنا أبو الربيع - ابن أخي رشدين بن سعد - قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: "﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ **كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرِجوه.**"، قال: فأُخْرِجَ الرجل.

أحمد بن محمد بن إسماعيل هو ابن أبي بكر الإسماعيلي الحافظ الكبير. ترجمه السمعاني في "الأنساب" مادة "الإسماعيلي" وقال: كان كثير السماع من أبيه...كما في رجال الحاكم (٣٢٥).

أبو الربيع سليمان بن داود بن حماد بن سعد المَهْرِي قال في "التقريب": ثقة.

عبد الله بن وهب: ثقة حافظ عابد.

فسند هذا الأثر جيد، كما قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٣/ ٤٩٠) باب: "وكان عرشه على الماء"،

من كتاب "التوحيد"، قال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك... فذكره.

قلت: هذه الأسانيد التي ورد بها أثر مالك -وإن كان لا يخلو سند منها من مقال- إلا أنَّ الواقف عليها لا يتردد في الحكم عليها بمجموعها بثبوتها عن مالك، خاصةً وقد اختلفت مخارجها.

ومِنْ ثَمَّ حكم بثبوت هذا الأثر عن مالك شيخُ الإسلام ابن تيمية، فقال في "مجموع الفتاوى" (١٧/ ٣٧٣): "وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك، فإنَّ كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس. وسائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، كيف استوى؟ فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". هذا لفظ مالك".

وحكم بثبوته أيضًا الحافظ الذهبي: بل الذين أخرجوه في كتبهم إنما ذكروه محتجين به.

وقد قمت بتخريج هذا الأثر بشيء من التوسع في رسالة مستقلة، يسَّر الله إخراجها.

كَذَلِكَ يُقَالُ فِي النُّزُولِ: "النُّزُولُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ". وَاطْرُدْهُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّ مَا وُصِفَ بِهِ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَكْمَلُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُشْبِهَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ ذَاتَ الْخَالِقِ ﷻ حَقٌّ، وَالْمَخْلُوقُونَ لَهُمْ ذَوَاتٌ، وَذَاتُ الْخَالِقِ ﷻ أَكْمَلُ وَأَنْزَهُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ تُشْبِهَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ(*) الْمَخْلُوقِينَ.

● ● ●

فَعَلَى كُلِّ حَالٍ: الشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي تَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَتَنْجِيسِ الْقُلُوبِ بِقَذَرِ التَّشْبِيهِ. فَالْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ إِذَا سَمِعَ صِفَةً وُصِفَ بِهَا اللهُ؛ أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ تِلْكَ الصِّفَةَ بَالِغَةٌ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ مَا يَقْطَعُ أَوْهَامَ عَلَائِقِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَتَكُونُ أَرْضُ قَلْبِهِ طَيِّبَةً طَاهِرَةً قَابِلَةً لِلْإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ عَلَى أَسَاسِ التَّنْزِيهِ عَلَى نَحْوِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(*) الأنسب أن يقال: "ذوات"؛ إذ سبق الكلام عن الصفات، ثم تكلم عن الذات.

سُؤَالٌ يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُحَقِّقَهُ

وَهُنَا سُؤَالٌ لَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِهِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ.

أَوَّلًا:

لِيَعْرِفُوا[١] أَنَّ اللَّفْظَ الْمُقَرَّرَ فِي الأُصُولِ[٢]:

- أَنَّهُ إِذَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ؛ هَذَا يُسَمُّونَهُ "نَصًّا"، كَقَوْلِهِ مَثَلًا: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة: ١٩٦].
- فَإِذَا كَانَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ فَلَا يَخْلُو مِنْ حَالَتَيْنِ:

★ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَظْهَرَ فِي أَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ مِنَ الْآخَرِ.

★ وَإِمَّا أَنْ يَتَسَاوَى بَيْنَهُمَا.

● ● ●

★ فَإِنْ كَانَ الِاحْتِمَالُ يَتَسَاوَى بَيْنَهُمَا؛ فَهَذَا الَّذِي يُسَمَّى فِي الِاصْطِلَاحِ "الْمُجْمَلَ"، كَمَا لَوْ قُلْتَ: "عَدَا اللُّصُوصُ الْبَارِحَةَ عَلَى عَيْنِ زَيْدٍ"؛

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "اعرفوا".

☆☆☆

(٢) هكذا قال الشيخ. والصواب أن يقال: أنَّ المقرر في الأصول أنَّ اللفظ إذا دلَّ...إلخ. وقد قال في "المذكرة" (ص٢١١): "الكلام إما أن يحتمل معنى واحدًا فقط فهو النص نحو: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ

فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ:

- عَيْنُهُ الْبَاصِرَةُ عَوَّرُوهَا.
- أَوْ عَيْنُهُ الْجَارِيَةُ غَوَّرُوهَا.
- أَوْ عَيْنُهُ - ذَهَبُهُ وُفِضَّتُهُ - سَرَقُوهَا.

فَهَذَا مُجْمَلٌ، وَحُكْمُ الْمُجْمَلِ أَنْ يُتَوَقَّفُ عَنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ عَلَى التَّفْصِيلِ[1].

أَمَّا إِذَا كَانَ نَصًّا صَرِيحًا؛ فَالنَّصُ يُعْمَلُ بِهِ، وَلَا يُعْدَلُ عَنْهُ إِلَّا بِثُبُوتِ النَّسْخِ.

★ أَمَّا إِذَا كَانَ أَظْهَرَ فِي أَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ فَهُوَ الْمُسَمَّى بِـ"الظَّاهِرِ"، وَمُقَابِلُهُ يُسَمَّى: "مُحْتَمَلًا مَرْجُوحًا".

وَ"الظَّاهِرُ" يَجِبُ الحَمْلُ عَلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ صَارِفٍ عَنْهُ، كَمَا لَوْ قُلْتَ: "رَأَيْتُ أَسَدًا"؛ فَهَذَا - مَثَلًا -:

- ظَاهِرٌ فِي الْحَيَوانِ الْمُفْتَرِسِ.
- مُحْتَمِلٌ لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ.

● ● ●

(١) قال في "المذكرة" (ص٢١١): "وحكم المجمل أن يتوقف عن العمل به إلا بدليل

إِذَنْ فَنَقُولُ: مَا الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ما (...)[١]، وَصِفَةِ النُّزُولِ، وَصِفَةِ الْمَجِيءِ، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ،[٢] هَلْ نَقُولُ مَا الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ؟ أَهُوَ مُشَابَهَةُ الْخَلْقِ حَتَّى يَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نُؤَوِّلَ وَنَصْرِفَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ، أَوْ: هُوَ تَنْزِيهُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى يَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نُقِرَّهُ عَلَى الظَّاهِرِ مِنَ التَّنْزِيهِ؟

الْجَوَابُ: أَنَّ كُلَّ وَصْفٍ أُسْنِدَ لِرَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَظَاهِرُهُ الْمُتَبَادِرُ مِنْهُ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ هُوَ التَّنْزِيهُ الْكَامِلُ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ، فَإِقْرَارُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ تَنْزِيهُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، وَهَلْ يُنْكِرُ عَاقِلٌ أَنَّ الْمُتَبَادِرَ لِلْأَذْهَانِ السَّلِيمَةِ أَنَّ الْخَالِقَ يُنَافِي الْمَخْلُوقَ فِي ذَاتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ؟! لَا وَاللهِ، لَا يُعَارِضُ فِي هَذَا إِلَّا مُكَابِرٌ.

---

(١) كلمة لم أتبيَّنها، ولعلها ما ظاهر، أو ما هو، أو لعلَّه سَبْقُ لسان والمراد: "وصفة النزول... إلخ"، والله أعلم.

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "إِذَنْ نَقُولُ: فالظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَوْلِهِ فِي صِفَةِ النُّزُولِ، وَصِفَةِ الْمَجِيءِ،...".

نَقْضُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوَاعِدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَإِلْزَامُهُمْ بِمُقْتَضَاهَا

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْمَبْحَثِ[١] الَّذِي ذَكَرْنَا؛ نُحِبُّ[٢] أَنْ نَذْكُرَ كَلِمَةً قَصِيرَةً لِجَمَاعَةٍ، نَرَاهُمْ قَرَأُوا فِي الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ، وَظَنُّوا نَفْيَ بَعْضِ الصِّفَاتِ مِنْ أَدِلَّةٍ كَلَامِيَّةٍ، كَالَّذِي يَقُولُ مَثَلًا: لَوْ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ - وَالْفَرْضُ أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ - لَكَانَ مُشَابِهًا لِلْحَوَادِثِ لَكِنَّهُ غَيْرُ مُشَابِهٍ لِلْحَوَادِثِ؛ يُنْتِجُ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ.

◍ ◍ ◍

هَذِهِ النَّتِيجَةُ الْبَاطِلَةُ تُضَادُّ سَبْعَ آيَاتٍ مِنَ الْمُحْكَمِ الْمُنَزَّلِ، وَلَكِنْ - هَذَا الْآنَ - نَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى طَرِيقِ الْمُنَاظَرَةِ وَالْجَدَلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ نَقُولُ: هَذَا قِيَاسٌ اسْتِثْنَائِيٌّ مُرَكَّبٌ مِنْ شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ لُزُومِيَّةٍ، اسْتُثْنِيَ فِيهِ نَقِيضُ التَّالِي؛ فَأُنْتِجَ مِنْهُ نَقِيضُ الْمُقَدَّمِ حَسَبَ مَا يَرَاهُ مُقِيمُ هَذَا الدَّلِيلِ.

◍ ◍ ◍

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "البحث".

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "نحب أن".

وَنَحْنُ نَقُولُ:

إِنَّهُ تَقَرَّرَ عِنْدَ عَامَّةِ النُّظَّارِ أَنَّ الْقِيَاسَ الِاسْتِثْنَائِيَّ الْمُرَكَّب مِنْ شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ لُزُومِيَّةٍ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْقَدْحُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ:

- يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ اسْتِثْنَائِيَّتِهِ.
- وَيَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ شَرْطِيَّتِهِ، إِذَا كَانَ الرَّبْطُ بَيْنَ الْمُقَدَّمِ وَالتَّالِي لَيْسَ بِصَحِيحٍ.
- وَيَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْقَدْحُ مِنْ جِهَتِهِمَا مَعًا.

◍ ◍ ◍

وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ كَاذِبَةُ الشَّرْطِيَّةِ؛ فَالرَّبْطُ بَيْنَ مُقَدَّمِهَا وَتَالِيهَا كَاذِبٌ كَذِبًا بَحْتًا؛ وَلِذَا جَاءَتْ نَتِيجَتُهَا مُخَالِفَةً لِسَبْعِ آيَاتٍ.

◍ ◍ ◍

إِيضَاحُهُ أَنْ نَقُولَ:

قَوْلُكُمْ: "لَوْ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ لَكَانَ مُشَابِهًا لِلْحَوَادِثِ"؛ هَذَا الرَّبْطُ بَيْنَ "لَوْ" وَ"لَـ"[١] كَاذِبٌ، كَاذِبٌ، كَاذِبٌ؛ بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ مُشَابَهَةٍ لِلْحَوَادِثِ؛ كَمَا أَنَّ سَائِرَ صِفَاتِهِ وَاقِعَةٌ كَمَا قَالَ

---

(١) يعني اللام في قولهم: "لكان"...إلخ.

مِنْ غَيْرِ مُشَابَهَةٍ لِلْخَلْقِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ أَنْ يُشْبِهَ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فِي صِفَاتِهِمُ الْبَتَّةَ.

بَلِ اسْتِوَاؤُهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَجَمِيعُ صِفَاتِهِ مُنَزَّهَةٌ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ مُنَزَّهَةٌ عَنْ مُشَابَهَةِ ذَوَاتِ الْخَلْقِ، وَلْيَطَّرِدْ هَذَا فِي مِثْلِ هَذَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: فَالْجَوَابُ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذَا يَطَّرِدُ فِي الْكُلِّ.



خَاتِمَةُ الْمَقَالَةِ

وَآخِرُ مَا نَخْتِمُ[١] بِهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ:

أَنَّا نُوصِيكُمْ وَأَنْفُسَنَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ تَلْتَزِمُوا بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ:

- الْأُولَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ فَتُنَزِّهُوا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ.

- الثَّانِيَةُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ فَتُؤْمِنُوا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَسَاسِ التَّنْزِيهِ؛ كَمَا جَاءَ بِـ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بَعْدَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

- النُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ تَقْطَعُوا أَطْمَاعَكُمْ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْكَيْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ إِدْرَاكَ حَقِيقَةِ الْكَيْفِيَّةِ مُسْتَحِيلٌ، وَهَذَا نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ "طه"، حَيْثُ قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]. فَقَوْلُهُ: ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ.

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "ما نختتم".

• وَالْفِعْلُ الصِّنَاعِيُّ - الَّذِي يُسَمَّى بِـ"الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، وَفِعْلِ الْأَمْرِ، وَالْفِعْلِ الْمَاضِي" -، يَنْحَلُّ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ عَنْ مَصْدَرٍ وَزَمَنٍ.

كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْخُلَاصَةِ:

الْمَصْدَرُ اسْمُ مَا سِوَى الزَّمَانِ
مِنْ مَدْلُولَيِ الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِنْ

• وَقَدْ حَرَّرَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ - فِي مَبْحَثِ الِاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ -: أَنَّهُ يَنْحَلُّ عَنْ مَصْدَرٍ، وَزَمَنٍ، وَنِسْبَةٍ.

• فَالْمَصْدَرُ كَامِنٌ فِي مَفْهُومِهِ إِجْمَاعًا.

فَـ﴿يُحِيطُونَ﴾ تَكْمُنُ فِي جَوْفِهَا "الْإِحَاطَةُ"، فَيَتَسَلَّطُ النَّفْيُ عَلَى الْمَصْدَرِ الْكَامِنِ فِي الْفِعْلِ؛ فَيَكُونُ مَثَلًا يُبْنَى مَعَهُ عَلَى الْفَتْحِ، فَيَصِيرُ الْمَعْنَى لَا إِحَاطَةَ عِلْمٍ بِرَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفِي جِنْسَ أَنْوَاعِ الْإِحَاطَةِ مِنْ كَيْفِيَّتِهَا؛ فَالْإِحَاطَةُ الْمُسْنَدَةُ لِلْعِلْمِ مَنْفِيَّةٌ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• • •

فَلَا يُشْكِلْ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا صِفَةُ نُزُولٍ، وَلَا مَجِيءٍ، وَلَا صِفَةُ يَدٍ، وَلَا أَصَابِعٍ، وَلَا عَجَبٍ، وَلَا ضَحِكٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ،

فَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَهُوَ لَائِقٌ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَمَا وُصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُونَ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ مُنَاسِبٌ لِعَجْزِهِمْ وَفَنَائِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ.

● ● ●

وَهَذَا الْكَلَامُ الْكَثِيرُ أَوْضَحَهُ اللهُ فِي كَلِمَتَيْنِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾:

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: تَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ.
- ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: إِيمَانٌ بِلَا تَمْثِيلٍ.

◄ فَيَجِبُ مِنْ أَوَّلِ الْآيَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: التَّنْزِيهُ الْكَامِلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَعْطِيلٌ، وَيَلْزَمُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَمْثِيلٌ.

◄ فَأَوَّلُ الْآيَةِ تَنْزِيهٌ، وَآخِرُهَا إِيمَانٌ.

● ● ●

وَمَنْ عَمِلَ:

- بِالتَّنْزِيهِ الَّذِي فِي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.
- وَالْإِيمَانِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

• وَقَطَعَ النَّظَرَ عَنْ إِدْرَاكِ الْكُنْهِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَنْصُوصِ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

خَرَجَ سَالِمًا.

● ● ●

وَقَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ مِرَارًا أَنِّي أَقُولُ - مَثَلًا[1] -:

• هَذِهِ الْأُسُسُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي رَكَّزْنَا عَلَيْهَا الْبَحْثَ، وَهِيَ:

* تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ.

* وَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَدَمُ التَّعَرُّضِ لِنَفْيِهَا، وَعَدَمُ التَّهَجُّمِ عَلَى اللهِ بِنَفْيِ مَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ.

* وَقَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ.

● ● ●

لَوْ مُتُّمْ - يَا إِخْوَانِ - وَأَنْتُمْ عَلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ:

أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَكُمْ: لِمَ نَزَّهْتُمُونِي عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ وَيَلُومُكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟

لَا، وَكَلَّا وَاللهِ لَا يَلُومُكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

---

(١) هكذا، ويمكن الاستغناء عنها.

أَتَـرَوْنَ أَنَّهُ يَلُومُكُمْ عَلَى أَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِصِفَاتِهِ، وَصَدَّقْتُمُوهُ فِيمَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَقُولُ لَكُمْ: لِمَ تُثْبِتُونَ[١] لِي مَا أَثْبَتُّهُ لِنَفْسِي، أَوْ أَثْبَتَهُ لِي رَسُولِي؟

لَا وَاللهِ لا يَلُومُكُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَأْتِيكُمْ عَاقِبَةٌ سَيِّئَةٌ مِنْ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ لَا يَلُومُكُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَقُولُ لَكُمْ: لِمَ قَطَعْتُمُ الطَّمَعَ عَنْ إِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ وَلِمَ تُحَدِّدُونِي بِكَيْفِيَّةٍ مُدْرَكَةٍ؟[٢]

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "لم أثبتم".

☆☆☆

(٢) هذه الجملة مخالفة لما قبلها؛ إذ هو رَحِمَهُ اللهُ ذكر قطع الطمع عن إدراك الكيفية فكيف يقول بعد ذلك لِمَ تحددوني...إلى آخره؟! والذي يظهر لي - والله أعلم - أنَّ صواب الجملة: لِمَ لَمْ تحددوني بكيفية مدركة؟

جَوابُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى شُبْهَةٍ

ثُمَّ إِنَّا نَقُولَ: لَوْ تَنَطَّعَ مُتَنَطِّعٌ، وَقَالَ:

نَحْنُ لَا نُدْرِكُ كَيْفِيَّةَ "نُزُولٍ" مُنَزَّهَةً عَنْ نُزُولِ الْخَلْقِ، وَلَا نُدْرِكُ كَيْفِيَّةَ "يَدٍ" مُنَزَّهَةً عَنْ أَيْدِي الْخَلْقِ، وَلَا نُدْرِكُ كَيْفِيَّةَ "اسْتِوَاءٍ" مُنَزَّهَةً عَنِ اسْتِوَاءَاتِ الْخَلْقِ؛ فَبَيِّنُوا لَنَا كَيْفِيَّةً مَعْقُولَةً مُنَزَّهَةً تُدْرِكُهَا عُقُولُنَا؟

فَنَقُولُ أَوَّلًا:

هَذَا السُّؤَالُ الَّذِي قَالَ فِيهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا بِدْعَةٌ.

وَلَكِنْ نُجِيبُ وَنَقُولُ:

أَعَرَفْتَ أَيُّهَا الْمُتَنَطِّعُ السَّائِلُ الضَّالُّ كَيْفِيَّةَ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُتَّصِفَةِ بِـ"صِفَةِ النُّزُولِ" وَ"صِفَةِ الْيَدِ" وَ"صِفَةِ الِاسْتِوَاءِ" وَ"صِفَةِ السَّمْعِ" وَ"الْبَصَرِ" وَ"الْقُدْرَةِ" وَ"الْإِرَادَةِ" وَ"الْعِلْمِ"؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ:

لَا.

فَنَقُولُ:

مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الذَّاتِ؛ إِذِ الْمَوْصُوفَاتُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ ذَوَاتِهَا.

● ● ●

وَنَضْرِبُ مَثَلًا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]. فَإِنَّ الْأَمْثَالَ لَا تُضْرَبُ لِلَّهِ[1]، وَلَكِنَّ الْأَحْرَوِيَّاتِ لَا مَانِعَ مِنْهَا، كَمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ.

فَنَقُولُ مَثَلًا - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ -:

لَفْظَةُ "رَأْسٍ": الرَّاءُ، وَالْهَمْزَةُ، وَالسِّينُ "رَأْسٌ"، هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَضِفْهَا إِلَى الْمَالِ، وَأَضِفْهَا إِلَى الْوَادِي، وَأَضِفْهَا إِلَى الْجَبَلِ، قُلْ: رَأْسُ الْمَالِ، رَأْسُ الْوَادِي، رَأْسُ الْجَبَلِ.

فَانْظُرْ مَا صَارَ مِنَ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَعَانِي بِحَسَبِ هَذِهِ الْإِضَافَاتِ، وَهَذَا فِي مَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ مِسْكِينٍ.

فَمَا بَالُكَ بِالْبَوْنِ الشَّاسِعِ الَّذِي بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا وَصِفَةِ الْمَخْلُوقِ؟!

● ● ●

وَخِتَامًا، يَا إِخْوَانِ:

نُوصِيكُمْ وَأَنْفُسَنَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ[1] تَتَمَسَّكُوا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلاثِ:

١. أَنْ تُنَزِّهُوا رَبَّكُمْ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْخَلْقِ.

٢. أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ إِيمَانًا مَبْنِيًّا عَلَى أَسَاسِ التَّنْزِيهِ عَلَى نَحْوِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

٣. وَتَقْطَعُوا الطَّمَعَ فِي إِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

● ● ●

وَنُرِيدُ أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِنُقْطَتَيْنِ:

❁ إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤَوِّلِينَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[البقرة: ٥٨]؛ فَإِنَّهُمْ زَادُوا فِي هَذَا اللَّفْظِ الْمُنَزَّلِ نُونًا، فَقَالُوا: "حِنْطَةٌ"[2].

---

(١) انتهت مادة الشريط إلى هنا. وقد استمعت إلى أكثر من شريط لهذه المادة؛ فوجدت المادة تنتهي إلى هنا. وأكملت بقية المحاضرة من: "منهج ودراسات لآيات الصفات".

☆☆☆

(٢) البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة d .

فَسَمَّى اللهُ هَذِهِ الزِّيَادَةَ تَبْدِيلًا، فَقَالَ فِي "الْبَقَرَةِ": ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾، وَقَالَ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

وَكَذَلِكَ الْمُؤَوِّلُونَ لِلصِّفَاتِ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾؛ فَزَادُوا "لامًا"، فَقَالُوا: "اسْتَوْلَى"؛ فَانْظُرْ مَا أَشْبَهَ لَامَهُمْ هَذِهِ الَّتِي زَادُوهَا بِـ"نُونِ" الْيَهُودِ الَّتِي زَادُوهَا! ذَكَرَ هَذَا ابْنُ الْقَيِّمِ.

● ● ●

❀ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤَوِّلِينَ أَنْ يَتَأَمَّلُوا آيَةً مِنْ "سُورَةِ الْفُرْقَانِ"، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٩]، وَيَتَأَمَّلُوا مَعَهَا قَوْلَهُ تَعَالَى فِي "سُورَةِ فَاطِرٍ": ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر: ١٤].

فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي الْفُرْقَانِ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾:

◀ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً: أَنَّ اللهَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِـ"الِاسْتِوَاءِ" خَبِيرٌ بِمَا يَصِفُ بِهِ نَفْسَهُ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الصِّفَةُ اللَّائِقَةُ مِنْ غَيْرِهَا.

◀ وَيُفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّ الَّذِي يَنْفِي عَنْهُ "صِفَةَ الِاسْتِوَاءِ" لَيْسَ بِخَبِيرٍ، نَعَمْ! هُوَ وَاللهِ لَيْسَ بِخَبِيرٍ.

● ● ●

وَصَلَّى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

ثُمَّ إِنَّا نُرِيدُ إِنْهَاءَ الْبَحْثِ بِالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مَا يُسَمُّونَهُ: مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَمَذْهَبَ الْخَلَفِ، وَقَوْلُهُمْ: "إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَمَذْهَبَ الْخَلَفِ أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ".

فَنَقُولُ:

أَوَّلًا: وَصَفُوا مَذْهَبَ السَّلَفِ بِأَنَّهُ أَسْلَمُ، وَهِيَ صِيغَةُ تَفْضِيلٍ مِنَ السَّلَامَةِ. وَمَا كَانَ يَفُوقُ غَيْرَهُ وَيَفْضُلُهُ فِي السَّلَامَةِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَحْكَمُ.

ثَانِيًا: اعْلَمُوا أَنَّ الْمُؤَوِّلِينَ يَنطَبِقُ عَلَيْهِمْ بَيْتُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ
وَمِنَ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا

• • •

وَإِيضَاحُ الْمُقَارَنَةِ:

أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى مُعْتَقَدِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا سَمِعَ - مَثَلًا - قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِكْبَارِ لِصِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّتِي مَدَحَ بِهَا نَفْسَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِهَا؛ فَجَزَمَ بِأَنَّ تِلْكَ

الصِّفَةَ الَّتِي تَمَدَّحَ بِهَا خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَالِغَةٌ مِنْ غَايَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، مَا يَقْطَعُ عَلَائِقَ أَوْهَامِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْبِهَ صَانِعَهَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَبِإِجْلَالِ تِلْكَ الصِّفَةِ وَتَعْظِيمِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى أَشْرَفِ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِكَمَالِ مَنْ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَجَلَالِهِ؛ يَسْهُلُ عَلَى ذَلِكَ[1] الْمُؤْمِنِ السَّلَفِيِّ أَنْ يُؤْمِنَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ، وَيُثْبِتَهَا لِلَّهِ كَمَا أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ عَلَى أَسَاسِ التَّنْزِيهِ.

- فَيَكُونُ أَوَّلًا: مُنَزِّهًا سَالِمًا مِنْ أَقْذَارِ التَّشْبِيهِ.
- وَثَانِيًا: مُؤْمِنًا بِالصِّفَاتِ مُصَدِّقًا بِهَا عَلَى أَسَاسِ التَّنْزِيهِ؛ فَيَكُونُ سَالِمًا مِنْ أَقْذَارِ التَّعْطِيلِ.

فَيَجْمَعُ بَيْنَ[2]: التَّنْزِيهِ، وَالإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ عَلَى نَحْوِ:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) زيادة من طبعة عالم الفوائد.

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "فيجمع التنزيه والإيمان...".

◄ فَمُعْتَقَدُهُ طَرِيقُ سَلَامَةٍ مُحَقَّقَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ آيَةُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الْآيَةَ مِنَ التَّنْزِيهِ، وَالْإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ.

◄ **فَهُوَ تَنْزِيهٌ مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ، وَإِيمَانٌ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.** وَكُلُّ هَذَا طَرِيقُ سَلَامَةٍ مُحَقَّقَةٍ، وَعَمَلٌ بِالْقُرْآنِ؛ **فَهَذَا هُوَ "مَذْهَبُ السَّلَفِ".**

● ● ●

وَأَمَّا مَا يُسَمُّونَهُ **"مَذْهَبَ الْخَلَفِ"**:

فَالْحَامِلُ لَهُمْ فِيهِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ وَتَأْوِيلِهَا: هُوَ قَصْدُهُمْ تَنْزِيهَ اللهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ؛ وَلَكِنَّهُمْ فِي مُحَاوَلَتِهِمْ لِهَذَا التَّنْزِيهِ **وَقَعُوا فِي ثَلَاثِ بَلَايَا** - لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا إِلَّا وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا -:

● **الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا الثَّلَاثِ:** أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ زَعَمُوا أَنَّ ظَاهِرَ الِاسْتِوَاءِ فِي الْآيَةِ هُوَ مُشَابَهَةُ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَتَهَجَّمُوا عَلَى مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ الْمُتَبَادِرَ مِنْهُ هُوَ التَّشْبِيهُ بِالْمَخْلُوقِينَ فِي اسْتِوَائِهِمْ.

فَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلَّهِ: هَذَا الِاسْتِوَاءُ الَّذِي أَثْنَيْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِكَ، ظَاهِرُهُ قَذِرٌ نَجِسٌ لَا يَلِيقُ بِكَ! لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ بِالْمَخْلُوقِينَ،

وَلَا شَيْءَ مِنَ الْكَلَامِ أَقْذَرُ وَأَنْجَسُ مِنْ تَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِخَلْقِهِ!

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!

وَهَذِهِ هِيَ **الْبَلِيَّةُ الْأُولَى** الَّتِي هِيَ التَّهَجُّمُ عَلَى نُصُوصِ الْوَحْيِ، وَادِّعَاءُ أَنَّ ظَاهِرَهَا تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَنَاهِيكَ بِهَا بَلِيَّةً!

● ● ●

- ثُمَّ لَمَّا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ فِي أَذْهَانِهِمْ، وَتَقَذَّرَتْ قُلُوبُهُمْ بِأَقْذَارِ التَّشْبِيهِ؛ اضْطُرُوا بِسَبَبِهَا إِلَى نَفْيِ "صِفَةِ الِاسْتِوَاءِ" فِرَارًا مِنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ الَّتِي افْتَرَوْهَا عَلَى نُصُوصِ الْقُرْآنِ أَنَّهَا هِيَ ظَاهِرُهَا.

وَنَفْيُ الصِّفَةِ الَّتِي أَثْنَى اللهُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، **هُوَ الْبَلِيَّةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي وَقَعُوا فِيهَا**؛ فَحَمَلُوا نُصُوصَ الْقُرْآنِ أَوَّلًا عَلَى مَعَانٍ غَيْرِ لَائِقَةٍ بِاللهِ، ثُمَّ نَفَوْهَا مِنْ أَصْلِهَا فِرَارًا مِنَ الْمَحْذُورِ الَّذِي زَعَمُوا.

● ● ●

- **وَالْبَلِيَّةُ الثَّالِثَةُ**: أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ الصِّفَةَ الَّتِي نَفَوْهَا بِصِفَةٍ أُخْرَى، مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى وَحْيٍ، مَعَ أَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي فَسَّرَهَا بِهَا هِيَ بَالِغَةٌ غَايَةَ التَّشْبِيهِ بِالْمَخْلُوقِينَ.

فَيَقُولُونَ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ ظَاهِرُهُ مُشَابَهَةُ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، فَمَعْنَى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: "اسْتَوْلَى"، وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِ الرَّاجِزِ فِي إِطْلَاقِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الِاسْتِيلَاءِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ

مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ(١)

وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا اسْتِيلَاءَ اللهِ عَلَى عَرْشِهِ الَّذِي زَعَمُوهُ بِاسْتِيلَاءِ "بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ" عَلَى الْعِرَاقِ!

فَأَيُّ تَشْبِيهٍ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟!

وَهَلْ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشَبِّهَ صِفَةَ اللهِ الَّتِي هِيَ الِاسْتِيلَاءُ الْمَزْعُومُ بِصِفَةِ "بِشْرٍ" الَّتِي هِيَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى الْعِرَاقِ؟

---

(١) قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ "مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى" (٥/١٤٦): "لَمْ يَثْبُتْ نَقْلٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ شِعْرٌ عَرَبِيٌّ، وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ أَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا: إِنَّهُ مَصْنُوعٌ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَوْ احْتُجَّ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَاحْتَاجَ إِلَى صِحَّتِهِ، فَكَيْفَ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ لَا يُعْرَفُ إِسْنَادُهُ، وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ؛ وَذُكِرَ عَنْ الْخَلِيلِ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ فِي كِتَابِهِ "الإِفْصَاحِ" قَالَ: سُئِلَ الْخَلِيلُ: هَلْ وَجَدْتُمْ فِي اللُّغَةِ "اسْتَوَى" بِمَعْنَى "اسْتَوْلَى"؟ فَقَالَ: هَذَا مَا لَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ؛ وَلَا هُوَ جَائِزٌ فِي لُغَتِهَا. وَهُوَ إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ حَالِهِ؛ فَحِينَئِذٍ حَمْلُهُ عَلَى مَا لَا يُعْرَفُ حَمْلٌ بَاطِلٌ." اهـ.

وَصِفَةُ الِاسْتِيلَاءِ مِنْ أَوْغَلِ الصِّفَاتِ فِي التَّشْبِيهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ فِيهَا التَّشْبِيهَ بِاسْتِيلَاءِ مَالِكِ الْحِمَارِ عَلَى حِمَارِهِ، وَمَالِكِ الشَّاةِ عَلَى شَاتِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ قَهَرَ مَخْلُوقًا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ؛ وَفِي هَذَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ.

● ● ●

فَإِنْ زَعَمَ - مَنْ شَبَّهَ أَوَّلًا، وَعَطَّلَ ثَانِيًا، وَشَبَّهَ ثَالِثًا أَيْضًا - أَنَّ الِاسْتِيلَاءَ الْمَزْعُومَ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ اسْتِيلَاءِ الْمَخْلُوقِينَ.

- **قُلْنَا لَهُ:**[1] **نَحْنُ نَسْأَلُكَ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْجَوَابَ بِإِنْصَافٍ:**

أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ:

» الِاسْتِوَاءُ الَّذِي مَدَحَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَهُوَ فِي نَفْسِ[2] الْقُرْآنِ الَّذِي يُتْلَى، وَلِتَالِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ.

» أَمِ الْأَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ هُوَ الِاسْتِيلَاءُ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى وَحْيٍ؟!

---

(١) في طبعة عالم الفوائد: "قلنا:...".

☆☆☆

(٢) في طبعة عالم الفوائد: "وهو نفسُ".

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ الْحَقَّ:

أَنَّ اللَّفْظَ الْوَارِدَ فِي الْقُرْآنِ أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ، وَالْحَمْلِ عَلَى أَشْرَفِ الْمَعَانِي، وَأَكْمَلِهَا مِنَ اللَّفْظِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُعَطِّلٌ مِنْ كِيسِهِ الْخَاصِّ، لَا مُسْتَنَدَ لَهُ مِنَ الْوَحْيِ.

***

وَبِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَلِيلَةِ يَظْهَرُ لَكُمْ:

"أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ أَسْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَعْلَمُ".

***

وَقَدْ بَسَطْنَا هَذِهِ الْمُقَارَنَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَاخْتَصَرْنَاهَا هُنَا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :[١]

فَتَحَصَّلَ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْبَحْثِ: أَنَّ الصِّفَاتِ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا مُتَرَكِّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ:

» الْأَوَّلُ: تَنْزِيهُ اللهِ ﷻ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ.

» وَالثَّانِي: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

● ● ●

وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ رضي الله عنهم مَا كَانُوا يَشُكُّونَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا كَانَ يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ - وَهُوَ شَاعِرٌ فَقَطْ -، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ؛ فَهُوَ عَامِّيٌّ:

وَكَيْفَ أَخَافُ النَّاسَ وَاللهُ قَابِضٌ
عَلَى النَّاسِ وَالسَّبْعَيْنِ فِي رَاحَةِ الْيَدِ

---

(١) تفسير سورة (الأعراف) آية رقم (٥٤)، (ص ٢٤٠)، وقد زدت ما يأتي من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِمَا له من اتصال بموضوع البحث، والله أعلم.

وَمُرَادُهُ بِالسَّبْعَيْنِ: سَبْعُ سَمَوَاتٍ، وَسَبْعُ أَرْضِينَ.

فَمَنْ عَلِمَ مِثْلَ هَذَا مِنْ كَوْنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ فِي يَدِهِ ﷻ أَصْغَرَ مِنْ حَبَّةِ خَرْدَلٍ؛ فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِعَظَمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ، لَا يَسْبِقُ إِلَى ذِهْنِهِ مُشَابَهَةُ صِفَاتِهِ لِصِفَاتِ الْخَلْقِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ زَالَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

● ● ●

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَنْزِيهِ اللهِ ﷻ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَالْإِيمَانِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ: **"الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ"**.

وَيُرْوَى نَحْوُ قَوْلِ مَالِكٍ هَذَا عَنْ شَيْخِهِ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،[1] وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

---

(١) تقدم تخريج هذه الآثار (ص ١٠٦).

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِمَوْضُوعِ بَحْثِنَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: "مَنْعِ جَوَازِ الْمَجَازِ فِي الْمُنَزَّلِ لِلتَّعَبُّدِ وَالْإِعْجَازِ"

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:(١)

فَصْلٌ: بَيَانُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا مَنَعْتُمُ الْمَجَازَ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَمَا مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِيهَا؟

فَالْجَوَابُ:

أَنَّ الصِّفَاتِ تَخْتَلِفُ حَقَائِقُهَا بِاخْتِلَافِ مَوْصُوفَاتِهَا؛ فَلِلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيقُ بِهِ، وَلِلْمَخْلُوقِ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ تُنَاسِبُهُ وَتُلَائِمُهُ، وَكُلٌّ مِنْ ذَلِكَ حَقِيقَةٌ فِي مَحَلِّهِ.

وَمَعَانِي صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مَعْرُوفَةٌ، وَكَيْفِيَّاتُهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَأُمُّ سَلَمَةَ: "الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ"؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْكَيْفَ غَيْرُ مَعْقُولٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

● ● ●

(١) (ص ٤٣) - طبعة عالم الفوائد.

وَحَاصِلُ تَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي مَسْأَلَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ.

- وَالثَّانِي: نَفْيُ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ ثَبَتَ لِلَّهِ فِي كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ.

● ● ●

فَمَنْ نَفَى وَصْفًا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ؛ فَهُوَ "مُعَطِّلٌ".

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَصِفُ اللهَ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ، وَلَا يَصِفُ اللهَ بَعْدَ اللهِ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وَمَنْ شَبَّهَ وَصْفَ رَبِّهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ؛ فَهُوَ "مُشَبِّهٌ مُلْحِدٌ".

وَكُلُّ تَعْطِيلٍ نَاشِيءٌ عَنْ تَشْبِيهٍ.

وَمَنْ آمَنَ بِصِفَاتِ رَبِّهِ مُنَزِّهًا لَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ بِصِفَاتِ الْحَوَادِثِ؛ فَهُوَ "مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ، سَالِمٌ مِنْ وَرْطَةِ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، جَامِعٌ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالتَّنْزِيهِ".

● ● ●

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ تَحْرِيرَ الْمَقَامِ حَاصِلٌ بِالْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

- فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فِيهِ نَفْيُ التَّمْثِيلِ.
- وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فِيهِ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَإِذَا كَانَ نَافِي بَعْضِ الصِّفَاتِ يَضْطَرُّ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِأَنَّهُ ﷻ ذَاتٌ مُخَالِفَةٌ لِجَمِيعِ الذَّوَاتِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتٍ لَا يُمَاثِلُهَا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَصِفَاتُهُ تُخَالِفُ صِفَاتِهِمْ كَمُخَالَفَةِ ذَاتِهِ لِذَوَاتِهِمْ.

● ● ●

فَإِنْ قِيلَ: يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ "الْوَجْهِ"، وَ"الْيَدِ"، وَ"الِاسْتِوَاءِ"، وَنَحْوِ ذَلِكَ مُشَابَهَةُ الْخَلْقِ؟!

فَالْجَوَابُ:

أَنَّ وَصْفَهُ بِذَلِكَ لَا يَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْخَلْقِ، كَمَا لَمْ يَلْزَمْ مِنْ وَصْفِهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ؛ بَلْ هُوَ تَعَالَى مُتَّصِفٌ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ كَمَا قَالَ،

مِنْ غَيْرِ مُشَابَهَةٍ لِلْخَلْقِ الْبَتَّةَ؛ فَهِيَ ثَابِتَةٌ لَهُ حَقِيقَةً عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا أَنَّ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ حَقِيقَةً عَلَى الْوَجْهِ الْمُنَاسِبِ لَهُمْ؛ فَبَيْنَ الصِّفَةِ وَالصِّفَةِ مِنْ تَنَافِي الْحَقِيقَةِ مَا بَيْنَ الذَّاتِ وَالذَّاتِ.

فَإِنْ قِيلَ: بَيِّنُوا كَيْفِيَّةَ الِاتِّصَافِ بِهَا لِنَعْقِلَهَا؟

قُلْنَا: أَعَرَفْتُمْ كَيْفِيَّةَ الذَّاتِ الْمُتَّصِفَةِ بِهَا؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولُوا: لَا!

فَنَقُولُ: مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الذَّاتِ.

فَإِنْ قَالَ الْخَصْمُ: هُوَ ذَاتٌ لَا كَالذَّوَاتِ.

قُلْنَا: وَمَوْصُوفٌ بِصِفَاتٍ لَا كَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ! فَسُبْحَانَ مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ شَيْءٌ! ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

خَاتِمَةٌ

❀ ثُمَّ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَضْرِبَ مَثَلًا لِمُنَاظَرَةِ نَافِي بَعْضِ الصِّفَاتِ بِذِكْرِ مِثَالٍ مِنْهَا؛ لِيَفْهَمَ مِنْهُ غَيْرُهُ وَيَعْلَمَ مِنْهُ كَيْفِيَّةَ إِقْنَاعِ الْخَصْمِ عَلَى طَرِيقِ الْمُنَاظَرَةِ.

● فَنَقُولُ:

نَافِي الِاسْتِوَاءِ مَثَلًا يَسْتَدِلُّ عَلَى نَفْيِ حَقِيقَتِهِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ؛ وَمَا لَزِمَهُ الْمُحَالُ فَهُوَ مُحَالٌ. وَهَذَا الدَّلِيلُ قَدْ يَكُونُ اسْتِثْنَائِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ اقْتِرَانِيًّا. وَسَنُبَيِّنُ وَجْهَ بُطْلَانِهِ عَلَى كِلَا الْأَمْرَيْنِ - إِنْ شَاءَ اللهُ -.

● فَنَقُولُ:

إِيضَاحُ جَعْلِهِ اسْتِثْنَائِيًّا أَنَّ الْخَصْمَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ؛ لَكَانَ مُشَابِهًا لِلْحَوَادِثِ - لَكِنَّهُ غَيْرُ مُشَابِهٍ لِلْحَوَادِثِ -؛ يُنْتِجُ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ.

فَنَقُولُ:

هَذَا قِيَاسٌ اسْتِثْنَائِيٌّ، مُرَكَّبٌ مِنْ شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ لُزُومِيَّةٍ فِي زَعْمِ الْمُسْتَدِلِّ الْمُعَطِّلِ، وَمِنَ اسْتِثْنَائِيَّةٍ يُسْتَثْنَى فِيهِ نَقِيضُ التَّالِي، يُنْتِجُ نَقِيضَ الْمُقَدَّمِ فِي زَعْمِهِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ النُّظَّارُ عَلَى أَنَّ قِيَاسَ الشَّرْطِيَّةِ الْمُتَّصِلَةِ اللُّزُومِيَّةِ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْقَدْحُ مِنْ جِهَةِ: الشَّرْطِيَّةِ، أَوْ الِاسْتِثْنَائِيَّةِ، أَوْ كُلٍّ مِنْهُمَا مَعًا.

وَشَرْطِيَّةُ هَذِهِ الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي اسْتَدَلَّ بِهَا الْخَصْمُ كَاذِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا فِي هَذَا الْمِثَالِ لَا تَصْدُقُ إِلَّا جُزْئِيَّةً؛ لِأَنَّ تَالِيَهَا أَخَصُّ مِنْ مُقَدَّمِهَا، وَالْحُكْمُ بِالْأَخَصِّ عَلَى الْأَعَمِّ لَا يَصْدُقُ إِلَّا جُزْئِيًّا إِيجَابِيًّا كَانَ أَوْ سَلْبِيًّا بِإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْحُكْمُ مُعَلَّقًا كَمَا فِي الشَّرْطِيَّاتِ، أَوْ غَيْرَ مُعَلَّقٍ كَمَا فِي الْحَمْلِيَّاتِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ فِي الشَّرْطِيَّةِ الْمُتَّصِلَةِ اللُّزُومِيَّةِ إِنَّمَا يَتَوَارَدَانِ عَلَى صِحَةِ الرَّبْطِ بَيْنَ الْمُقَدَّمِ وَالتَّالِي سَوَاءً كَانَا مَوْجُودَيْنِ فِي الْخَارِجِ أَوْ لَا، فَهِيَ تَكُونُ صَادِقَةً مَعَ كَوْنِهَا كَاذِبَةَ الطَّرَفَيْنِ لَوْ أُزِيلَ الرَّبْطُ بَيْنَ الْمُقَدَّمِ وَالتَّالِي فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِإِزَالَةِ الرَّبْطِ قَضِيَّةً حَمْلِيَّةً مُسْتَقِلَّةً.

أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢] شَرْطِيَّةٌ صَادِقَةٌ بِلَا شَكٍّ مَعَ أَنَّ أَدَاةَ الرَّبْطِ لَوْ أُزِيلَتْ كَانَ الْمُقَدَّمُ قَضِيَّةً حَمْلِيَّةً كَاذِبَةً، وَهِيَ "كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ"، ﷻ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَصَارَ التَّالِي أَيْضًا "فَسَدَتَا" أَيْ: السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ لِأَنَّ مَدَارَ الصِّدْقِ فِي الشَّرْطِيَّاتِ عَلَى صِحَةِ الرَّبْطِ، سَوَاءٌ كَانَ الْمُقَدَّمُ وَالتَّالِي مَوْجُودَيْنِ فِي الْخَارِجِ أَوْ لَا، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَحَلِّهِ.

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ قَوْلَ الْخَصْمِ: "لَوْ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ لَكَانَ مُشَابِهًا لِلْحَوَادِثِ" شَرْطِيَّةٌ كَاذِبَةٌ؛ لِأَنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ لَا يَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ الْبَتَّةَ؛ بَلْ هُوَ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ مُمَاثَلَةٍ وَلَا مُشَابَهَةٍ لِاسْتِوَاءِ الْحَادِثِ.

وَالِاعْتِرَافُ **بِهَذَا يَلْزَمُ الْخَصْمَ** لِاعْتِرَافِهِ بِنَظِيرِهِ فِي كَوْنِهِ تَعَالَى سَمِيعًا بَصِيرًا قَادِرًا مُرِيدًا...إِلَخ. وَأَنَّهُ لَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَقْدِرُ وَتُرِيدُ، **وَكُلُّهُمْ يَعْتَرِفُ** بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَالْحَوَادِثُ مَوْجُودَةٌ وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ الْمُشَابَهَةُ؛ وَالْكُلُّ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ.

وَإِنَّمَا تَصْدُقُ الشَّرْطِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ لَوْ كَانَتْ مُسَوَّرَةً بِسُورٍ جُزْئِيٍّ؛ كَمَا لَوْ قِيلَ: قَدْ يَكُونُ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ مُسْتَوِيًا عَلَى حَادِثٍ كَانَ مُشَابِهًا لِلْحَوَادِثِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْمَخْلُوقِ قِسْمَانِ:

- قِسْمٌ تَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ، وَهُوَ "اسْتِوَاءُ الْمَخْلُوقِ".
- وَقِسْمٌ لَا يَلْزَمُهُ ذَلِكَ وَهُوَ "اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ ﷻ"؛ لِأَنَّهُ لَا يُشَابِهُ اسْتِوَاءَ الْمَخْلُوقِ، كَمَا أَنَّ سَائِرَ صِفَاتِهِ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تُشْبِهُ ذَوَاتِهِمْ؛ فَالْكُلُّ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ.

فَظَهَرَ أَنَّ الْخَصْمَ جَاءَ بِشَرْطِيَّةٍ كَاذِبَةٍ؛ فَأَنْتَجَتْ لَهُ الْكَذِبَ الْمُنَافِيَ لِصَرِيحِ الْقُرْآنِ، فَكُبْرَى مُقَدِّمَتَيْ قِيَاسِهِ - وَهِيَ الشَّرْطِيَّةُ - كَاذِبَةٌ كَمَا عَرَفْتَ.

وَمَعْرُوفٌ أَنَّ: "الشَّرْطِيَّةَ: هِيَ الْكُبْرَى فِي الشَّرْطِيِّ، وَالِاسْتِثْنَائِيَّةُ: هِيَ الصُّغْرَى فِيهِ" فِي الِاصْطِلَاحِ الْمَنْطِقِيِّ.

وَأَمَّا وَجْهُ جَعْلِهِ اقْتِرَانِيًّا؛ فَهُوَ أَنَّ الْخَصْمَ يَقُولُ: قَوْلُكُمْ "هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ" لَوْ جَعَلْنَاهُ مُقَدِّمَةً صُغْرَى وَضَمَمْنَا إِلَيْهِ مُقَدِّمَةً صَادِقَةً كُبْرَى؛ فَإِنَّ النَّتِيجَةَ تَكُونُ كَاذِبَةً، وَكُبْرَانَا صَادِقَةٌ، فَانْحَصَرَ الْكَذِبُ اللَّازِمُ مِنْ كَذِبِ النَّتِيجَةِ فِي الصُّغْرَى الَّتِي هِيَ قَوْلُكُمْ: هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

وَإِيضَاحُهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، وَكُلُّ مُسْتَوٍ عَلَى مَخْلُوقٍ - عَرْشًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ - فَهُوَ مُشَابِهٌ لِلْحَوَادِثِ؛ يُنْتِجُ هُوَ مُشَابِهٌ لِلْحَوَادِثِ. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا!

فَيَقُولُونَ: هَذِهِ النَّتِيجَةُ كَاذِبَةٌ بِالضَّرُورَةِ، وَكَذِبُهَا لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا مِنْ عَدَمِ صِحَّةِ الصُّغْرَى الَّتِي هِيَ قَوْلُكُمْ: هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّ الْكُبْرَى صَادِقَةٌ.

وَنَحْنُ نَمْنَعُ هَذَا؛ فَنَقُولُ: بَلْ كَذِبُ النَّتِيجَةِ نَاشِيءٌ عَنْ كَذِبِ الْكُبْرَى وَهِيَ قَوْلُكُمْ: كُلُّ مُسْتَوٍ عَلَى مَخْلُوقٍ مُشَابِهٌ لِلْخَلْقِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ كُلِّيَّةٌ لَا تَصْدُقُ إِلَّا جُزْئِيَّةً؛ لِأَنَّ مَحْمُولَهَا أَخَصُّ مِنْ مَوْضُوعِهَا، وَقَدْ أَجْمَعَ النُّظَّارُ عَلَى كَذِبِ الْمُسَوَّرَةِ؛ لِكَذِبِ سُورِهَا.

وَالْحَقُّ أَنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْمَخْلُوقِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْخَلْقِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ الصُّغْرَى، وَهِيَ قَوْلُنَا: (هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ): أَنَّ اللهَ صَرَّحَ بِهَا فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ فَتَبَيَّنَ صِدْقُهَا فَانْحَصَرَ الْكَذِبُ فِي الْكُبْرَى الَّتِي جِئْتُمْ بِهَا؛ وَلِذَا أَنْتَجَتْ لَكُمُ التَّعْطِيلَ الْمُنَافِيَ لِصَرِيحِ الْقُرْآنِ.

فَظَهَرَ أَنَّهُمْ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ جَاءُوا بِقَضِيَّةٍ كَاذِبَةٍ بِلَا شَكٍّ؛ فَادَّعَوْا صِدْقَهَا بَاطِلًا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْقَضِيَّةَ الصَّادِقَةَ بِشَهَادَةِ سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ الَّذِي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] أَنَّهَا هِيَ الْكَاذِبَةُ.

وَفِي الْمَثَلِ: "رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ"، مَعَ أَنَّا نُورِدُ مِنْ جِنْسِ أَدِلَّتِهِمْ مَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ وَيُؤَيِّدُ الْحَقَّ؛ فَنَقُولُ - مَثَلًا -:

الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ أَخْبَرَ اللهُ بِهِ، وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ؛ يُنْتِجُ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ: الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ حَقٌّ.

وَنَقُولُ - أَيْضًا -:

الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ أَخْبَرَ بِهِ اللهُ، وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْزَمَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ؛ يُنْتِجُ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ: الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْزَمَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ.

وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ يَلْزَمُهُ مُشَابَهَةُ الْحَوَادِثِ؛ أَنَّ إِلْزَامَهُ هَذَا اعْتِرَاضٌ صَرِيحٌ عَلَى مَنْ أَخْبَرَ بِالِاسْتِوَاءِ وَهُوَ اللهُ ﷻ.

فَلْيَعْلَمْ مُدَّعِي لُزُومِ الْبَاطِلِ لِظَاهِرِ آيَاتِ الصِّفَاتِ: أَنَّ اعْتِرَاضَهُ عَلَى رَبِّهِ.

● ● ●

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ظَوَاهِرَ آيَاتِ الصِّفَاتِ دَالَّةٌ عَلَى اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِصِفَاتٍ تُشْبِهُ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ مُفْتَرٍ، بَلْ ظَاهِرُهَا اتِّصَافُهُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْمُنَزَّهَةِ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ.

● ● ●

۞ وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ لَمْ يُرَدْ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا الْمُؤَوِّلُونَ:

أَنَّهَا لَوْ كَانَ يُرَادُ بِهَا ذَلِكَ لَبَادَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيَانِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤَخِّرُ الْبَيَانَ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ وَلَاسِيَّمَا فِي الْعَقَائِدِ، وَإِنَّمَا لَمْ نَتَعَرَّضْ لِذِكْرِ الْمَجَازِ الشَّرْعِيِّ وَالْعُرْفِيِّ؛ لِأَنَّهُمَا لَا دَخْلَ لَهُمَا فِي الْبَحْثِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْمَجَازِ الشَّرْعِيِّ اللُّغَوِيِّ فَقَطْ.

وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَزِيغُ سَبِيلُهُ ... وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ.اهـ[1].

---

(١) من "منع جواز المجاز في المُنَزَّل للتعبُّد والإعجاز".

خَاتِمَةُ مُعِدِّ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ

اعْلَمْ أَخِي الْمُسْلِمَ الْمُتَّبِعَ السَّلَفَ الصَّالِحَ رضي الله عنهم:

- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَكْمَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَهَا، وَبَيَّنَهُ بَيَانًا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى اسْتِدْرَاكِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحُجَّةَ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ.

- فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ:

» بِأَنَّهُ أَكْمَلُ الْخَلْقِ هِدَايَةً.

» وَأَنَّهُ بَلَّغَ عَنِ اللهِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِتَبْلِيغِهِ.

» وَأَنَّهُ أَفْصَحُ النَّاسِ، وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى بَيَانِ مُرَادِهِ.

» وَأَنَّهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ لِأُمَّتِهِ، وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ.

» وَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ خَوْفًا مِنَ اللهِ، وَتَعْظِيمًا لَهُ.

» وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ، وَبِمَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.

• فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِأُمَّتِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَقِدُوهُ فِي رَبِّهِمْ بَيَانًا لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا غُمُوضَ؛ فَلَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى بَيَانِ غَيْرِهِ، وَإِلَّا لَا يَكُونُ بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. وَقَدْ سَأَلَ النَّاسَ ﷺ هَلْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ؛ فَشَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ[١].

وَلَا يُعْقَلُ أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِأُمَّتِهِ آدَابَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالنَّوْمِ، وَدُخُولِ الْمَنْزِلِ والْخُرُوجِ مِنْهُ، وَرُكُوبِ الدَّابَّةِ، وَلُبْسِ النَّعْلِ وَالثَّوْبِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ - مِمَّا لَوْ تَرَكَهُ الْمُسْلِمُ لَمْ يَأْثَمْ عَلَى تَرْكِهِ - ثُمَّ يَتْرُكُ مَعْرِفَةَ اللهِ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ وَيُثْبَتَ لَهُ تَعَالَى، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُ مَجْهُولًا، أَوْ مُلْتَبِسًا حَقُّهُ بِبَاطِلِهِ!

إِنَّ مَنْ يَتْرُكِ التَّعَصُّبَ، وَيَتَخَلَّصْ مِنَ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، وَيَنْظُرْ بِعَقْلٍ وَإِنْصَافٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْتَنِعَ بِأَنَّ الَّذِي قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ وبَلَّغَهُ، هُوَ الْحَقُّ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه. وقد روى هذا اللفظ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وأحاديثهم في الصحيحين وغيرهما.

ثُمَّ صَحَابَةُ الرَّسُولِ ﷺ؛ الَّذِينَ تَلَقَوْا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هِدَايَتُهُمْ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، لَا يُخَالِفُ فِي هَذَا إِلَّا ضَالٌّ أَوْ مُضَلَّلٌ تَائِهٌ لَا يَعْرِفُ الْإِسْلَامَ.

وَلَمْ يَأْتِ عَنْهُمْ، كَمَا لَمْ يَأْتِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا أَوْصَافُ اللهِ تَعَالَى، أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَاهِرًا، أَوْ أَنَّهُ يَنْبَغِي تَأْوِيلُهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[النحل: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧].

وَلَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدِ امْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، فَبَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ؛ حَتَّى تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا لَبْسَ فِيهَا، وَلَا غُمُوضَ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ بَابُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ:

* أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بَاطِلٌ قَطْعًا.
* وَأَنَّ الْحَقَّ فِيمَا قَالَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ، وَمَا قَالَهُ رَسُولُهُ ﷺ.
* وَأَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى، وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ حَقٌّ وَهُدًى.

وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ مُرَادُ اللهِ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِعِبَادِهِ، وَمُرَادُ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا غُلُوٍّ.

وَإِنَّ مِنَ الْخِذْلَانِ أَنْ يَنْصَرِفَ الْعَبْدُ عَمَّا تَعَرَّفَ اللهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْحَقَّ وَالْهُدَى فِي كَلَامِ أَهْلِ الْجَدَلِ وَالْفَلْسَفَةِ، الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى آرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِيمَا يَجِبُ لِلَّهِ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْحَيْرَةَ وَالشَّكَّ، فَإِذَا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ؛ أَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا.

وَمِنَ الْمُحَالِ - كَذَلِكَ - أَنْ يَأْمُرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ؛ ثُمَّ يَتْرُكُ بَابَ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يُمَيِّزُ مَا يَجُوزُ نِسْبَتُهُ إِلَى اللهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ مَعَ حَضِّهِ ﷺ عَلَى التَّبْلِيغِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: "فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"(١)؛ حَتَّى نَقَلُوا أَقْوَالَهُ، وَأَفْعَالَهُ، وَأَحْوَالَهُ، وَصِفَاتِهِ، وَمَا فُعِلَ بِحَضْرَتِهِ.

وَلَمْ يُنْقَلْ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ - التَّصْرِيحَ بِوُجُوبِ تَأْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا الْمَنْعَ مِنْ ذِكْرِهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، وَوَجَبَ تَنْزِيهُهُ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فَمَنْ أَوْجَبَ خِلَافَ ذَلِكَ بَعْدَهُمْ فَقَدْ خَالَفَ سَبِيلَهُمْ.

وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ ﷻ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْ نَفْسِهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَثَبَتَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الِاسْتِوَاءِ، وَالنُّزُولِ، والنَّفْسِ، وَالْيَدِ، وَالْعَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا تَجَاسَرَ عَقْلٌ أَنْ يَحُومَ حَوْلَ ذَلِكَ الْحِمَى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فَيَدُلُّ هَذَا عَلَى: أَنَّنَا نُثْبِتُ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ دُونَمَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بِتَشْبِيهٍ أَوْ تَعْطِيلٍ أَوْ تَمْثِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ.

وَمَنْ تَيَقَّنَ:

* أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ.
* وَأَنَّ قَوْلَهُ الْحَقُّ الَّذِي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].
* وَأَنَّ قَوْلَهُ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ.
* وَأَنَّهُ الْهُدَى وَالنُّورُ، والشِّفَاءُ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْجَهْلِ وَالشُّكُوكِ.
* وَأَنَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

وَعَلِمَ أَنَّ:

* الرَّسُولَ ﷺ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ.
* وَأَفْصَحُ الْخَلْقِ فِي النُّطْقِ وَالْبَيَانِ.
* وَأَنَّهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ.

مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ؛ تَيَقَّنَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ لَهُ:

* كَمَالُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ.
* وَكَمَالُ الْقُدْرَةِ عَلَى بَيَانِهِ.
* وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ لَهُ.

وَمَعَ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ و الْإِرَادَةِ؛ يَجِبُ وُجُودُ الْمَطْلُوبِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.

فَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ:

* أَبْلَغُ مَا يُمْكِنُ.
* وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ.
* وَأَعْظَمُهُ بَيَانًا لِأُمُورِ الدِّينِ: مِنْ حُقُوقِ اللهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَنْ وَقَرَ هَذَا فِي قَلْبِهِ؛ لَمْ يَجْرُأْ عَلَى تَحْرِيفِ النُّصُوصِ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا تَدَبَّرَهَا الْعَاقِلُ الْمُنْصِفُ؛ وَجَدَهَا أَبْعَدَ شَيْءٍ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَعَنْ صِفَاتِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَقْصٍ فِي عِلْمِهِ وَإِيمَانِهِ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى، وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ.

◆ وَأَخْتِمُ هَذِهِ الْخَاتِمَةَ بِكَلَامٍ مُهِمٍّ جِدًّا لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

◐ قَالَ فِي "الْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ" (ص٨٥):

"فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَلَّا يَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ يَنْظُرُ مَا قَالَ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَبَعًا لِقَوْلِهِ، وَعَمَلُهُ تَبَعًا لِأَمْرِهِ؛ فَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

فَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُعَارِضُ النُّصُوصَ بِمَعْقُولِهِ، وَلَا يُؤَسِّسُ دِينًا غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَإِذَا أَرَادَ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَالْكَلَامَ فِيهِ؛ نَظَرَ فِيمَا قَالَهُ اللهُ وَالرَّسُولُ؛ فَمِنْهُ يَتَعَلَّمُ، وَبِهِ يَتَكَلَّمُ، وَفِيهِ يَنْظُرُ وَيَتَفَكَّرُ، وَبِهِ يَسْتَدِلُّ؛ فَهَذَا أَصْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ".

◍ ◍ ◍

◐ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي "الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةِ" (ص٢٧١):

"فَصْلٌ: ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ﷺ: "لَا يُوصَفُ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ".

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ. وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلَا أَحَاجِيّ؛ بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِمَا يَقُولُ، وَأَفْصَحَ الْخَلْقِ فِي بَيَانِ الْعِلْمِ، وَأَفْصَحَ الْخَلْقِ فِي الْبَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لَا فِي نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ؛ فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ؛ فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا، فَإِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الَّذِي لَا غَايَةَ فَوْقَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ؛

لِامْتِنَاعِ الْعَدَمِ عَلَيْهِ، وَاسْتِلْزَامُ الْحُدُوثِ سَابِقَةُ الْعَدَمِ؛ وَلِافْتِقَارِ الْمُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ، وَلِوُجُوبِ وُجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ؛ فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ". اهـ.



وكتب: أبو عبدالله ربيع بن زكريا بن محمد أبو هرجة

خور كلباء/ الشارقة

جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ

ثم كان النظر في هذه الرسالة، وتنقيحها،

وذكر بعض الزيادات فيها، وإصلاح ما وقع من خطأ

بعد ظهر يوم الثلاثاء ٥ من شوال ١٤٣٤ هـ (٢٠١٣/٨/١٣)

وكتب: ربيع بن زكريا

الفهارس

- فهرست الأحاديث والآثار.
- فهرست الفوائد.
- فهرست الموضوعات.



فهرست الأحاديث والآثار

الحديث	الصفحة
"إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا"	٦٣
"اللهم أنت الأول"	٦٩
"أيما امرأة نكحت"	٩٤
"الجار أحق"	٩٣
"خير الناس قرني"	٤٠
"سبحانك الله"	٩٠
"عليكم بسنتي"	٢٥
"فإذا ضربت الحدود"	٩٤
"فإنه نعم السلف أنا لك"	٣٩
"فليبلغ الشاهد الغائب"	١٥٧
"هل بلغت؟"	١٥٤
"ورسول الله بين أظهرنا"	١٧
"ونسي آدم"	٣٤
"ينزل ربنا"	١٠٠
"أثر أم سلمة: الاستواء غير مجهول"	١٠٦
"أثر ربيعة الاستواء غير مجهول"	١٠٧
"أثر مالك: الاستواء غير مجهول"	١٠٨

فهرست الفوائد

الفائدة	الصفحة
نقل مهم عن المقريزي	١٧
كلام مهم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ	١٩
كلام الصابوني في عقيدة السلف	٢٤
كلام لابن رجب	٢٦
نقل عن الخطيب البغدادي	٢٧
معنى السلف	٣٩
معنى التشبيه وأقسامه	٤٥
معنى التعطيل وأقسامه	٤٥
معنى الجلال	٤٧
الصفات الثبوتية والسلبية (المنفية)	٤٩
معنى صفة الفعل	٧٣
معنى الصفة الجامعة	٧٦
فائدة في القراءات "يسقى"	٨٦
معاني التأويل	٩٠
معنى الظاهر	٩٣
الرد على مقالة الصاوي في حاشيته على الجلالين	١٠١

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى	١٦
تعريف موجز بالشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ	٣٥
الأسس التي يرتكز عليها مبحث "آيات الصفات"	٤٣
أقسام صفات الله جَلَّ وَعَلَا عند المتكلمين وردُّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عليهم	٤٩
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على صفات المعاني عند المتكلمين	٥٤
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على صفات الصفات السلبية عند المتكلمين	٦٠
تعريف القِدَم عند المتكلمين	٦٢
ردُّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على المتكلمين عدَّهم الصفات المعنوية سَبْعًا فقط	٧١
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على صفات الأفعال	٧٣
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على الصفات الجامعة	٧٦
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على الصفات التي اختلف فيها المتكلمون	٨٠
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على إثبات "صفة الاستواء"	٨٣
كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على معاني التأويل	٩٠
اعتقاد التشبيه سبب نفي صفات الله جَلَّ وَعَلَا	١٠٠
قاعدتان هامَّتان نبَّه عليهما الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلاب العلم	١٠٤
غلط مَن يطلق على آيات الصفات أنها من المتشابه	١٠٦
سؤال يجب على طالب العلم أن يحققه	١١٦

الموضوع	الصفحة
نقض الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قواعد المتكلمين وإلزامهم بمقتضاها	١١٩
خاتمة المقالة	١٢٢
جواب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شُبهة	١٢٧
فصل بيان معنى الحقيقة في آيات الصفات	١٤١
خاتمة	١٤٥
الفهارس	١٦٣
فهرست الأحاديث والآثار	١٦٥
فهرست الفوائد	١٦٦
فهرس الموضوعات	١٦٧



مطابع دار الصحيفة
٠١٠٦٥١٥١٧٧٧